يا عمال العالم اتحدوا

الاتحاد

الثلاثاء ١٨ نيسان ١٩٩٥ الصفحة ١٦

لجنة الرؤساء تحذر من الحفريات تحت الاقصى

❑ اللجنة تستنكر تحقيقات الشرطة الاستفزازية مع الشيخ رائد صلاح ومع المهندس رامز جرايسي ❑ تطلب التقاء رابين للتباحث معه في الموضوع ❑

● شفاعمرو – مكتب «الاتحاد» – من احمد حمدي – قرر رؤساء السلطات المحلية العربية، في اجتماعهم امس، الاثنين، في شفاعمرو، القيام بزيارة الى المسجد الاقصى في الاسبوع القادم. وذلك للتعبير عن موقفهم الداعي الى وقف حفر الانفاق تحت بناية المسجد الاقصى، والتحذير من الخطر الناجم عن هذه الحفريات.

وطالب الرؤساء باقامة لجنة تحقيق وفحص محايدة، وبمشاركة ممثل عن دائرة الاوقاف في السلطة الفلسطينية، لفحص ما يجري من حفريات.

واستنكر رؤساء السلطات المحلية العربية التحقيق الاستفزازي، الذي اجرته الشرطة مع رئيس بلدية ام الفحم، الشيخ رائد صلاح، حول خطبة القاها في المسجد الاقصى خلال شهر رمضان. واستنكروا الدعوة السابقة لرئيس بلدية الناصرة، رامز جرايسي، للتحقيق. واعتبر الرؤساء الامر استفزازا سياسيا يهدف الى اسكات صوت الرؤساء العرب وحرمانهم من التعبير عن موقفهم السياسي.

وعلى هذا الاساس قرر الرؤساء عقد جلسة مع رئيس الحكومة ووزير الداخلية للبحث معهما قضية التحقيقات الاخيرة ومطالبتهما بايقافها فورا.

وكان قد افتتح الاجتماع رئيس لجنة الرؤساء القطرية، ابراهيم نمر حسين، بكلمة شجب فيها هذه التحقيقات الاستفزازية ودعا الى وقفها حالا.

من جانبه اكد الشيخ رائد صلاح، رئيس بلدية ام الفحم، على ان التحقيق معه تركز حول خطبة الجمعة، التي القاها في المسجد الاقصى يوم ١٩ شباط الماضي. مشيرا الى انه على ضوء استمرار الحفريات تحت المسجد الاقصى واستعمال مواد كيماوية لتفتيت الصخر ناشدت المصلين مواجهة هذه المؤامرة.

وتحدث في الاجتماع رئيس بلدية الناصرة، المهندس رامز جرايسي، فأكد ان التحقيق مع الشيخ رائد صلاح هو تحقيق سياسي. وقال: احيطكم علما بأن الدعوة للتحقيق معي لم تلغ، بل جمدت. الامر الذي يؤكد تمادي الشرطة في تحقيقاتها مع الرؤساء المنتخبين. وما هذه التحقيقات الا رسائل تهديد لن نخضع لها لاننا لا نقبل بسياسة كم الافواه.

واثنى على هذا الموقف رئيس مجلس عرابة المحلي، فضل نعامنة. واعتبر اسلوب التحقيقات الجديد اسلوبا معراخيا ومحاولة لتحطيم شخصية المسؤول المنتخب.

وتحدث في الاجتماع كل من واصل طه، رئيس مجلس كفركنا، والدكتور هشام ابو رومي، رئيس مجلس طمرة، والشيخ كمال ريان، رئيس مجلس كفربرا، ونمر مرقس، رئيس مجلس كفرياسيف. فأكد جميعهم على الاستنكار الشديد للتحقيقات الاستفزازية، وطالبوا بوقفها واتخاذ الاجراءات المناسبة اذا احتاجت الضرورة ذلك.

هذا وقد ظهر واضحا تغيب رؤساء السلطات المحلية العربية من حزب «العمل» عن الجلسة.

عودة ابن دبورية، عمر مصالحة مندوب فلسطين في اليونيسكو!



● الناصرة – مكتب «الاتحاد» – يعود الى ارض الوطن وبعد غياب ما يقارب الثلاثين عاما ابن قرية دبورية الدكتور عمر مصالحة سفير منظمة التحرير الفلسطينية سابقا في منظمة اليونيسكو، والمسؤول عن الشؤون الثقافية الفلسطينية فيها حاليا.

وسيصل مصالحة الى بلدته، عرين جبل الطور، يوم السبت القادم. وسيجرى له حفل استقبال شعبي من اهالي القرية والمجلس المحلي مساء الأحد، في القاعة الرياضية في القرية. وتم ترتيب عدة لقاءات له في البلاد وعلى رأسها الاجتماع مع رؤساء سلطات محلية واعضاء كنيست والمسؤولين عن الشؤون التعليمية والثقافية في الوسط العربي.

كما سيلتقي كلا من مسؤولي الثقافة والتعليم في السلطة الوطنية الفلسطينية في مدينتي غزة واريحا، ومسؤولي الاذاعة والتلفزيون هناك، لدراسة احتياجاتهم لتطوير عمل المؤسسة الاعلامية الفلسطينية.

* نشر شريط فيديو عن جندية تمارس الجنس مع جندي *

● حيفا – مكتب «الاتحاد» – كشفت جندية اسمها غيلي، امس الاثنين، في اتصال هاتفي مع اذاعة الجيش (غالي تساهل)، النقاب عن ظاهرة التحرش بالجنديات ومضايقتهن جنسيا في القواعد العسكرية، وكثرة حالات الاغتصاب. مشيرة الى انها شخصيا تعرضت لحادث اغتصاب من ضابط الفرقة. وانها خافت من تقديم شكوى، لان الضباط الكبار لن يصدقوها وفضلت السترة على الفضيحة!!

جاء ذلك تعقيبا على اقوال ضابطة وحدة النساء في الجيش الاسرائيلي يسرائيل أهرون.

وكانت اهرون عقبت على فضيحة في الجيش الاسرائيلي، تجسدت بتصوير مجندة وهي تمارس الجنس مع جندي آخر، وتوزيع شريط الفيديو في القواعد العسكرية. فقالت اهرون ان ذلك حادثا شاذا ولا يميز الجيش. وقالت ان الشرطة العسكرية في الجيش، تحقق في الموضوع واذا ثبتت صحته فهو خطير جدا. وهو بمثابة مخالفة جنائية.

اما المجندة التي صورت عارية خلال عملية جنسية، فقد تسرحت من الخدمة العسكرية قبل عدة اسابيع، وقالت انها تعرضت على مدى اكثر من سنة، لتحرشات ومضايقات جنسية من ضباط وجنود الفرقة التي خدمت فيها. وقالت: «وكان الجنود يتغزلون بجسدي بشكل بذيء». لم ادر لماذا. اعتدوا عن صديق واعضا داخلية وضبطوها. اعترفت ذلك واتضح ان الجندي، الذي تردد الى عند وصولي الاول الى القاعدة العسكرية، واحببته، اعتقدت انه جدي، سافرت معه الى العديد من الاماكن، لكنه نجح في تصويري. ولم ادر انه نذل وجبان».

وقالت، «تبين ان الجنود والضباط شاهدوا الشريط على مدى اكثر من سنة. وكشف لي الامر صديق. وعندها عرفت لماذا ضايقوني».

وطالبت بانزال اقصى العقوبة بالذين تآمروا عليها وصوروها.

وقالت غيلي، انها تعرف عشرات المجندات اللواتي تعرضن للمضايقات الجنسية والاغتصاب في القواعد العسكرية، وخفن من تقديم الشكاوى، خشية التنكيل بهن على ايدي الضباط.

وذكرت حادثة، عن ضابط الفرقة التي خدمت فيها، كيف انه اقفل باب المخزن عليها وعلى مجندتين اخريين ومارس بحقهن الاعمال المشينة. وكان الحكم عليه: «ابقاؤه في وظيفته مع تخفيض رتبته».

نوايا لخفض فترة الخدمة الاحتياطية في الجيش

● حيفا – مكتب «الاتحاد» – خلال لقاء بين النائب رعنان كوهين، ونائب قائد الاركان متان فلنائي، تمت بلورة فكرة في اطار اعداد قانون يهدف الى خفض ايام خدمة الاحتياط في الجيش.

وبموجب هذه الفكرة التي لم يصادق عليها قائد الاركان بعد، سيتم تخفيض ايام خدمة الاحتياط من ٣٣ الى ٢٩ يوما كحد اقصى للوحدات القتالية في العام. وسيكون من هذه الفترة ٢٣ يوما مشاركة فعلية في وحدات الجيش القتالية. كذلك يشارك جندي الاحتياط في خمسة الى ستة ايام تدريب وارشاد.

يذكر ان فترة الخدمة الاحتياطية تتغير بحسب وحدات الجيش، واكبر فترة في هذه الخدمة هي للوحدات القتالية.

كذلك تتضمن الفكرة المذكورة تحريرا تدريجيا لجنود الاحتياط فوق سن الـ ٤٠ عاما. وسيجري بحث تقليص الخدمة الاجبارية للشبان بـ ٤ اشهر.

وذكرت المصادر العسكرية ان التقليصات الزمنية في خدمة الجيش تأتي في ظل زيادة عدد افراد الجيش.

لجنة المبادرة الدرزية تتضامن مع اهالي المعتقلين في جنين

● جنين – لمراسلنا ثائر ابو بكر – قام وفد من لجنة المبادرة الدرزية، برئاسة الشيخ جمال معدي، بزيارة تضامنية الى مدينة جنين، امس الاثنين، وقدم شحنة اغاثة من المواد التموينية لاهالي المعتقلين.

وقام اعضاء الوفد بزيارة عدد من بيوت المعتقلين، واستمعوا الى شرح من ذويهم عن ظروف اعتقالهم.

وشارك اعضاء وفد المبادرة في اعتصام امهات المعتقلين، في مقر الصليب الاحمر، بمناسبة يوم الاسير الفلسطيني.

والقى الشيخ معدي كلمة، دعا فيها الشعب الفلسطيني الى الحفاظ على وحدته الوطنية والتماسك وتفويت الفرصة على كل من يتربص به ويريده شعبا مفتتا مفسخا. ودعا الحكومة الاسرائيلية الى اطلاق سراح المعتقلين الفلسطينيين والتوجه الجدي نحو السلام العادل.

التحذير من اخطار مصانع «نيشر» على البيئة والمواطنين في الجليل

● كوكب ابو الهيجا – مكتب «الاتحاد» في البطوف – حذّر أحد نشيطي اللجنة المعارضة لنقل مصانع «نيشر» الى الجليل، جيدي أهروني، من اخطار نقل عملية نقل هذه المصانع والاضرار التي ستلحقها بالمواطنين وبالبيئة في المنطقة. وذلك في اطار ندوة عقدت في كوكب ابو الهيجا امس، الاثنين، تحت شعار «الجليل يقول لا لمصانع نيشر». وأكد رئيس مجلس كوكب ابو الهيجا المحلي على دور السلطات المحلية في الحفاظ على البيئة والعمل على تنفيذ القوانين المتعلقة بها.

وكان قد تحدث في هذه الندوة كل من السادة محمد غنايم وحسين طربيه وحاييم شنهار والمحاضرة غيلا واحمد صالح طه.

ملحق

الاتحاد

الجمعة ٢٨ نيسان ١٩٩٥

اكثر من ٨٢٠ مليون عاطل عن العمل في العالم في ١٩٩٤





جمعة ويوم

● مع ان كل ما يدور حول الاعتقالات والتحقيقات البوليسية مع رئيسي تحرير صحيفتي «يديعوت احرونوت» و«معريب» هو في اطار الشبهات وفي مراحل التحقيق الاولية، و«المتهم بريء حتى تثبت ادانته» ومع ان الحديث يجري عن ٣ –٤ صحفيين فقط من مجموع اكثر من الفي صحفي في اسرائيل.. فقد نجحت الشرطة في وضع الصحافة كلها.. مرة اخرى في قفص الاتهام والشك والكراهية.

ولقد فعلت ذلك بمساعدة الصحفيين انفسهم، وبدهاء بارز.. فعندما اعتقلت رئيس تحرير «معريب» طنطنت «يديعوت احرونوت» للخبر، ومعها وسائل الاعلام المسموعة والمرئية.. والتي تمتلك «يديعوت..» الكثير من اسهمها. وكذلك فعلت «معريب» عندما جرى اعتقال رئيس تحرير «يديعوت احرونوت».

وفي المحصلة النهائية لهذه المعركة، تلقت الصحافة وجمهور الصحفيين ضربة جديدة في مكانتهم لدى الرأي العام وهيبتهم ومصداقيتهم. ولا احد يقدر مدى اضرار هذه الضربة اكثر من الصحفيين انفسهم.

ففي قفص الاتهام في المحاكم الاسرائيلية جلس وزراء، آخرهم وزير الداخلية السابق اريه درعي. وعلى الطريق وزير آخر مرتبط اسمه بفضائح الهستدروت، لكن احدا لم يتهم جمهور الوزراء السابقين واللاحقين.


ידיעות אחרונות
עצר עופר נמרודי
העורך הראשי של "מעריב"

● «يديعوت احرونوت» «تبشر» باعتقال رئيس تحرير «معريف»! ●

وفي اروقة مراكز التحقيق البوليسية حشد من كبار النقابيين الذين قادوا الهستدروت في الماضي، وبعضهم يقودونها حتى اليوم، ولكن احدا لم يتهم كل جمهور النقابيين.

وكم رئيس سلطة محلية جرى وما زال يجري التحقيق معه بتهمة التلاعب بأموال الجمهور واستغلالها بشكل سيء، ولا احد يتهم كل جمهور الرؤساء.

اما الصحفيون، فهناك حساب طويل معهم. وليس اسهل من الهجوم عليهم وتشويه سمعتهم والطعن بمهنتهم ومصداقيتهم. والمسؤولون في الكثير من المواقع، في الحكومة والشرطة والمخابرات والجيش والهستدروت ورؤساء ونواب في الكنيست وغيرهم، يصطفون بالدور لينتقموا منهم. فهم «القبضايون» الذين يكشفون الحقائق ويفضحون الفساد ويحاربون مظاهر التعفن والانانية والاستغلال الفاحش ومظاهر خداع الجمهور ويكشفون المؤامرات، وهم الضحية،

التي ينسون دورها في خدمة المواطن.. باطلاعه على الحقائق وعلى آخر الانباء وبارشاده في معرفة حقوقه وبمناصرته على الظالمين والاستغلاليين وبتشجيعه على الابداع الفني والثقافي والرياضي.

ونحن لا ندافع عن كل الصحفيين. ولا نتجاهل وجود الكثيرين بينهم ممن يستغلون المهنة بشكل مخالف لرسالة الصحافة.. فيدوسون آداب المهنة ويختلقون الاخبار الملفقة وينشرون كما هائلا من الانباء التافهة ويعتمدون لغة الصحافة الصفراء.. الخ.. لكننا نلفت النظر فقط الى ضرورة التعامل الموضوعي مع الشبهات التي تحوم حول فرد او نفر من الصحفيين، كما يعامل الوزراء والنقابيون والرؤساء.. فلا يذهب «الصالح بعزا الطالح» وتظل الفوارق واضحة بين صحفي وآخر وبين صحيفة واخرى.

□ □ □ □ □

.. والآن، ما هي «فضيحة الصحافة»؟

وهل الصحف او مهنة الصحافة او الصحفيون هم في ازمة وفي ورطة وفساد.. الخ..؟!

الحقيقة الساطعة لحملة التحقيقات والاعتقالات هي انها ناجمة عن امر ليس له علاقة بالصحافة بشكل بحت، انما عن امر واحد ووحيد اسمه «التجارة». فالصحافة الاسرائيلية، على الرغم من كونها صحافة حرة وديمقراطية الى حد كبير وتعطي للقارىء وجبات دسمة من الاخبار والمقالات والتحليلات والمعلومات والارشادات والخدمات في شتى المجالات، الا انها تطورت بسرعة الى تقليد اعمى للغرب. فأكثرت من الصحافة الصفراء والمعالجات السطحية. واستسخفت كثيرا عقل الجمهور، ونزلت، نؤكد على كلمة نزلت، الى سوق التجارة الرخيصة.. التي لا تتلاءم مع هذه المهنة ورسالتها.

وشيئا فشيئا، صرنا نراها صحافة عائلية لتجد عائلة واحدة تتحكم بمعظم الاسهم. والمؤسسة الصحفية التي تملكها العائلة تتحول الى امبراطورية اقتصادية. تتسع وتسيطر على المزيد من وسائل الاعلام، بما في ذلك الرسمية (القناة الثانية في التلفزيون ومحطات الاذاعة الاقليمية) وتصدر صحفا جديدة محلية ومجلات ملحقة (وهذا ليس كله سلبيا). فصارت هناك

نظير مجلي

ثلاث امبراطوريات صحفية في الوسط اليهودي («يديعوت احرونوت» – عائلة موزس – و«معريب» – عائلة نمرودي – و«هآرتس» عائلة شوكن)، وانتقل المرض الى الوسط العربي.

واصبح التنافس حربا شرسة تجاوزوا فيه كل الحدود. وعلى الرغم من ان كل صحيفة تملك المقومات المهنية الخاصة التي يمكن ان تجذب قراء يلائمونها، وجدناها تحاول اغراء القراء بالجوائز المالية والسيارات. وكلنا يذكر هستيريا التلفونات التي اصابوا بها الناس ووجدوا عشرات آلاف المتبرعين لها من الناس.. قل: «انا اقرأ يديعوت احرونوت» واربح خمسة آلاف شيكل.

ان التنافس التجاري، عموما، يحوي اخطار الانزلاق الى مستويات غير انسانية. وغير اخلاقية. لكنه عندما ينطلق من خنادق عائلية يكون اشرس. فالخنادق العائلية ضيقة للغاية وضاغطة للغاية. تماما كما الطوش العائلية التي نعرفها في مجتمعنا، مع كل ما تحويه من قسوة وجهل ولؤم. وعندما تكون خلفية الحرب اقتصادية، تصبح حربا عمياء شعواء.

هذا هو ما حدث في الصحافة الاسرائيلية. وقد جاء مرافقا لاغلاق صحيفة مبدئية مثل «عل همشمار» والتهديد باغلاق الصحيفة الاخرى «دفار».

وهذا نتاج شبه طبيعي لمسار التنافس الاقتصادي في المجتمعات الرأسمالية، حيث القيمة العليا للقرش. «وصاحب




מעריב
עצר משה ורדי
עורך "ידיעות אחרונות"

● «معريف» «تبشر» باعتقال رئيس تحرير «يديعوت احرونوت»! ●

المال هو صاحب القرار». والربح الذي لا يعرف الحدود. والجشع الذي يطال كل ما في الوجود.

□ □ □ □ □

وهنا المكان لنعود الى الصحفيين والصحافة. فالصحفيون هم ضحية في هذه المعادلة: يعملون بأجرة لدى صاحب العمل. الصحفي المهني الناجح والصادق يفرض احترامه على صاحب الجريدة فيبقيه. والصحفي الفاشل يعرض نفسه للبيع في سوق التجارة الرخيصة. وكم من صحفي مهني صادق حاولوا جره الى تلك السوق ورفض فأقيل وطرد من العمل، واضطر للابتعاد عن المهنة والعيش بشرف وكرامة. وكم من صحفي رخيص باع نفسه وعمل وما زال يعمل في الصحافة لكن اسمه في الحضيض.

ويبقى المقياس للصحافة الامينة للرسالة، مدى صدقها واخلاصها وانسانيتها وديمقراطيتها ومبدئيتها ومدى احترامها لعقل القارىء واعتبار نفسها خادمة له.

سحماتا بين الالم والامل

حبل من الحب لا ينقطع... وكذلك الامل في العودة!



* جمع من اهالي سحماتا على ارض مقبرتها برفقة النائب هاشم محاميد *

*** اهالي سحماتا ينظمون اعمالا تطوعية، اسبوعيا، لرعاية المقدسات الباقية في القرية كبقاء الامل في العودة! * شواهد القبور في سحماتا تتعرض لعمليات سرقة وتدنيس * العلاقات لا تزال حميمة ووطيدة بين مهجري سحماتا، رغم تشردهم في مدن وقرى مختلفة في اسرائيل... وكذلك في خارجها ***

* تقرير: سهيل قبلان وروزا سمعان *
تصوير: هيلانة سمعان

* سحماتا قرية عربية، من القرى التي قامت السلطات الاسرائيلية في عام (١٩٤٨) بترحيل اهاليها بعد قصف وحرق البيوت.. ومن ثم مسح تلك البيوت عن وجه الارض، بما في ذلك الكنيسة والجامع.

ترتفع قرية سحماتا (٥٧٥) مترا عن سطح البحر. الا انها بعلاقات اهلها الوطيدة ومحبتهم لبعض، ارتفعت آلاف الاميال. لتتربع مع شقيقات لها على عرش القدوة في التآخي والمحبة والتعاون والالفة.

اشتهرت سحماتا قبل عام (١٩٤٨) بزراعة الزيتون. وغرس فيها (٨٢) الف شجرة زيتون، في اكثر من (٢١١٠) دونمات. واضاف اخضرار الزيتون الدائم، بالاضافة الى اخضرار السنديان والبطم والزعرور، جمالا على جمال، فكانت سحماتا دائما بهجة للنظر وبلسما لاهلها.

اشتهرت سحماتا بالزراعة. واعتمد الاهالي في معيشتهم على زراعة القمح والشعير والذرة والكرسنة. وزرعوا الخضروات والفواكه. واشتهرت بزراعة افخر انواع التبغ. وصبرها كان يضرب به المثل لحلاوته وطعمه المميز اللذيذ ونكهته الجليلية الخاصة.

* سبب تسميتها سحماتا *

بنيت سحماتا في اول مرة، في خلة، ويحكى ان احد موسريها ويدعى متى، اصيب بمرض عضال. ويقال انه اصيب بالسل. ونصحوه ليبل من مرضه بأن يسكن على رأس التلة وليس في الخلة. وبقائل للشفاء بعد اسابيع من السكنى فوق التلة، الامر الذي كان مبعث فرح وسرور للاهالي الذين اخذوا يرددون مسرورين: «صحّ متى، صحّ متى». وحرف كما يبدو ذلك ليصبح فيما بعد «سحماتا» التي حرفت ايضا من «صحماتا».

وذكر المؤرخ الفلسطيني مصطفى الدباغ في كتابه «بلادنا فلسطين»، ان اسمها «قد يكون حُرّف من سماحا السريانية بمعنى النور والاشراق».

* اهم معالمها *

كان في القرية مسجد الى جانب كنيسة قديمة بيزنطية يعود تاريخها الى قبل (٥٥٠) سنة ميلادية. واقيمت الكنيسة في الخلة، في منطقة تدعى «الدير». ولا تزال منها بقايا آثار، رغم هدمها في عام (١٩٤٨). ويبدو جرن العماد واضحا، وارضها من الفسيفساء الملونة. وفيها قبران لمطرانين. وصهاريج محفورة في الصخر. وتظهر في الفسيفساء، واضحة صور عناقيد العنب واكواز الرمان والعصافير والكؤوس المزخرفة.

وفيها قلعة، بجانبها مدرسة وحديقة، الامر الذي يشير الى ان المدرسة كانت زراعية، وقال الدباغ ان العثمانيين اسسوا في عام (١٣٠٦) هجرية، مدرسة في سحماتا. وكان اعلى صف فيها الرابع الابتدائي.

* سحماتا بين الالم والامل *

تعب اهالي سحماتا كثيرا في استصلاح وزراعة ارضهم التي فاضت سخاء، ولم تبخل عليهم بشيء، حتى وصلوا الى الاكتفاء الذاتي من منتوجاتها. ولم يحتاجوا الآخرين، ولم يحتاجوا من الآخرين الا الصداقة

والمحبة والجيرة الحسنة. تعبوا وعرقوا وكدحوا، فكانت العواقب خيرا وعطاء. اختاروا من المزروعات ما يحتاج الى عمل يومي وعناية دائمة، ليبقوا على اتصال يومي بالارض. زرعوا ارضهم وفلحوها، وجبلوا كل ما زرعوه بالمحبة. عاشوا سعداء فيها، الى ان داهمت قريتهم جحافل الحقد والجشع، فهاموا على وجوههم لاجئين، مهججين، مشردين، في قلوبهم غصات وفي عيونهم دمعات وفي نفوسهم حسرات. عرفوا الضياع والغربة والمهانات والذل والارهاب. عرفوا المنافي وطعم العيش في كنف الآخرين. حاولوا الرجوع الى الارض التي احبوا واحبتهم، الى البيوت التي تحفظ الاسرار وشهدت التناسل والعشرة والمحبة والمسامرات والسهرات والافراح. حاولوا الرجوع لبناء الاطلال وفلاحة الارض.

والبرهان على انهم على العهد ماضون. لم ولن ينسوا. عرفوا الآلام والاوجاع، جراء حرمانهم من التمتع بشمس سحماتا وتنسم واستنشاق نسيم سحماتا. ومسامرة قمر سحماتا. ولكن الآلام لم تزرع فيهم الاحباط واليأس والخنوع، حملوا سحماتا في القلوب املا يكبر كل يوم. وعلى الاكتاف صليب، وعلى الوجوه بشائر وامان لا بد ان تتحقق: ومن بين الآلام وبعد الآلام لا بد من مخاض، مخاض اسمه العودة الى سحماتا مهما طال الزمن.

الاحاديث كثيرة عن اهالي سحماتا، والذكريات الجميلة كثيرة، كما هي الذكريات الاليمة التي تعصر القلوب، نتيجة للنكبة عام (١٩٤٨). وقطع الاهالي عهدا على انفسهم للقيام بأعمال تطوعية اسبوعيا للمحافظة على المقدسات والمقابر، التي لم تتورع السلطات عن تدنيسها وادخال الابقار والحيوانات اليها. والانكى من كل ذلك قيام عدد من الاشخاص بسرقة شواهد القبور وآثار سحماتا ووضعها في ساحات بيوتهم للزينة، في معلوت وتسوريئيل وغيرهما. ويبقى السؤال: ماذا كان سيكون موقف السلطات الاسرائيلية لو ان عربيا سرق شاهد قبر يهودي؟ او ترك ابقاره ترعى في محيط قبر يهودي؟

* ذكريات من عام النكبة *

لم يعدم اهالي سحماتا الامل بالعودة الى اراضيهم. ورغم تشتتهم في لبنان وفي عدة قرى ومدن عربية في اسرائيل، لم يتنازلوا عن اراضيهم ولم يفرطوا بها. وعشرات السنين والسنات ما زالوا احياء، ويحملون في قلوبهم الحب لسحماتا. وفي الذاكرة الكثير مما رأوه وعايشوه.

ولم تتمالك غزالة سمعان (ام عفيف) نفسها وهي تروي وتسترجع ما حدث، فهرت الدموع ساخنة من مآقيها. لقد حملت معها امانات عديدة، اودعها عندها اهالي سحماتا. وهناك امانة استرجعها اصحابها بعد (٢٥ عاما). وبين الغصة والدمعة قالت: كان الوقت احد ايام عام (١٩٤٨) بعد ان رحلوهم من سحماتا. واستقروا مؤقتا في فسوطة عند الاقارب. ودارت سيارة عسكرية في شوارع فسوطة وفيها شخص ينادي: كل شخص من دير القاسي او من سحماتا، في عنده امانات، عليه ان يسلمها للحكومة. فقالت لي امي: اسمعي شو عمينادوا، سلمي الامانة اللي معك. قلت لها:

لا تستجيبي ولا تحكي لاي واحد. لقد اودعتني فاطمة سعدية كم قطعة ذهب. (٥) غرازي ومجوز ذهب كانت عندنا يوم داهموا سحماتا. وقالت: خايفة على ذهبي، خليهم عندك. وعقدتهم في قطعة قماش وقالت: ان مت اقسمي الذهب مناصفة بين البنتين نوال ورحمة. وصارت الهزيمة في سحماتا بعد قصف الطائرات الاسرائيلية. فتشت عن فاطمة فلم اجدها. وبقي الذهب امانة معي. كان مثل جبل الملح على قلبي. وضاعت فاطمة ولم نلتق. ودارت الايام وامتدت السنون ولم نلتق. وبعد حرب تشرين في عام (١٩٧٣) جاء في زيارة الى اسرائيل مختار قرية سحماتا، جريس قيصر سمعان. وهو سلفي، قلت له: معي امانة وبدي اوصلها الى اصحابها. قال: امانة فاطمة. قلت: نعم. قال: جاءت الي يوم عرس ابنتها واعطيتها مقابل الامانة مالا نقدا. وفاطمة تسلمي انت، فارقت الحياة. فبعد زواج ابنتها ذهبوا ينادوها عالصبحية لتأكل مع العروسين لوجدوها جثة هامدة. واعطيت الامانة للمختار كي يوصلها الى ابنتي المرحومة فاطمة وذلك بعد (٢٥) عاما. وبعد عودة المختار الى لبنان، تلقيت صورة ورسالة شكر، تفيد ان الامانة وصلت.

* تركت اولادها في خطر لتخرج الامانة من الطاقة *

اشتهر اهالي سحماتا بمحبتهم وتعاضدهم معا. كان في القرية عام (١٩٤٨) (١٦٠٠) نسمة منهم حوالي (٧٠) نسمة من المسيحيين فقط والغالبية الساحقة من المسلمين. ولتأكيد العلاقة والمحبة والروابط المتينة، عين الاهالي مختارا مسيحيا. ولم يكن اي فرق بين مسلم ومسيحي. وكانت مسنة تدعى شاهينة علي سليمان، تعيش في ضنك وفقر. عملت في شك الدخان. ومقابل كل خيطين كانت تتقاضى في حينه تعريفة. وبعد انتهاء العمل كانت تأتي بالراتب اليومي الذي تقاضته وتودعه امانة عند خزنة سمعان. وقالت لها: بدي اجمع ثمن بدلة الموت والكفن من تعبي وعرق جبيني. وصارت الهزيمة في سحماتا وتفرق الاهالي. وذهبت شاهينة الى لبنان. ومرت الايام ولم تلتق خزنة وشاهينة.

وتقول خزنة: بعد ست سنوات من عام النكبة، جاء ابن شاهينة واخذ الامانة. لقد كان اهالي سحماتا الذين لم يتمكنوا من العودة، يأتون بالسر الى هنا. وقالت فاطمة لابنها محمد ان لها ثلاث ليرات عند خزنة سمعان، يا ريت تروح على فسوطة وتجيبهم. شايف حالتنا عالحديدة. وفي احدى الليالي دق محمد على باب احد البيوت في فسوطة، واخبر صاحب البيت لماذا جاء. وعندما جاء الينا طلب الليرات الثلاث. وفوجئ، عندما اعطيناه (٨) ليرات. وقلت له: امك عالسبحانية لا تعرف الحساب. لقد جمعت لها (٨) ليرات من تعبها.

وتابعت ام عفيف قائلة: كان معي امانة ذهب، (٨) «مجرات» وليرتان و(١١) «جهديات»، لامرأة اسمها تمام احمد عزام. وخوفا من السرقة خبأتهم في طاقة البيت ووضعت على الطاقة قليلا من الطين. ويوم

وقعت النكبة، كانت الطائرة تقصف واحترقت عدة بيوت في حينا، كان عندي ثلاثة اولاد، اصغرهم عمره سبعة اشهر، وهرب اصحاب البيوت خوفا من الموت، جاء سلفي الى البيت، رآني على السلم احفر في الطاقة، سألني ماذا افعل واولادي يصرخون فأخبرته. قال: لقد قتل زوج فاطمة. فاخذت الذهب وقلت لها: هذا ذهبك دبري بالله عليه.

* كيف رحلت خزنة عن سحماتا؟ *

عندما اشتد القصف على سحماتا واحترق عدد كبير من البيوت، حمل الناس ما خف حمله وكانت وجهتهم الى لبنان. «واستقرت» خزنة واولادها وزوجها (٤٠) يوما في قرية رميش. كانوا يشترون المياه بالمال. الحياة اصعب من ان توصف. رفضت في البداية الرحيل عن سحماتا حتى لو ماتت فيها. كان اولادها صغارا، اقنعوها ان الرحيل لن يدوم وعندما ينتهي القصف سيعودون، ووافقت في النهاية، لكن ما رأته في رميش دفعها على العودة بأي ثمن، ذهبت الى البركة لجلب المياه، استطاعت ان تملأ الجرة وتعود الى البيت، في طريق العودة، سمعت امرأة من رميش تقول: اهل سحماتا بلا دين لانهم تركوا قريتهم ولانهم لا يصلون. حز ذلك في نفسها كثيرا، وقررت العودة «مهما كان الثمن».

* الحب لسحماتا اقوى من ان يفسخ *

الحب في قلوب اهالي سحماتا لقريتهم وترابها وحصاها، اكبر من ان



* خزنة سمعان (ام عفيف) ونجية سليمان (ام محمد) *

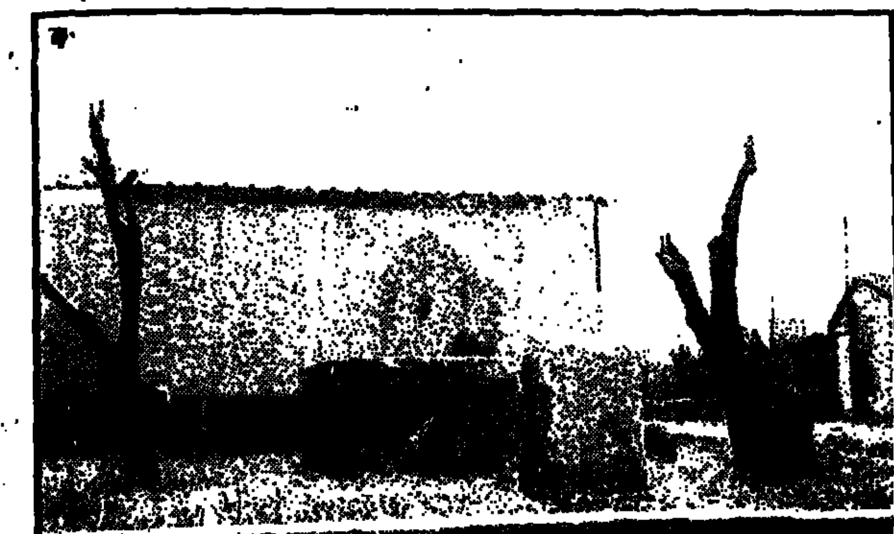
يوصف، ومهما حاولت التفتيش عن كلمات للتعبير عنه، تقف عاجزا لان الكلمات تنقزم امامه. وتتابع خزنة قائلة: ذهبت وسلفتي التي جاءت في زيارة من لبنان الى ارض سحماتا. وصارت تلم وتجمع حصى في كيس، سألتها فقالت: سأعطي الحصى لفلانة ولفلانة، فمن يستلف المال من الاخر من اهالي سحماتا في لبنان، يرهن الحصى الى ان يسترجع المال. وبعد غزو لبنان في عام (١٩٨٢)، اصيب طفل في السابعة من عمره، اصله من سحماتا، احضروه الى مستشفى «روتشيلد» في حيفا للعلاج. ذهبنا لنعوده في المستشفى وبعد الاستفسار عرفنا من يكون. تعلق بنا. ويوم خرج من المستشفى اوصلناه الى رأس الناقورة. بعد شهر عاد لاجراء الفحوصات. قال لنا ان جده محمد سليمان قدورة، طلب منه ان يحضر له معه حجارة رقيقة من سحماتا، اخذناه الى سحماتا وحملناه كيسا من الحجارة. بعد سنوات عاد برفقة اخته، كانا يحملان حجارة سحماتا وقد تفننا في نحتها. وقد تقلدت اخته حجرا في عنقها على شكل قلب. وقالا انهما علقا الحجارة على جدران غرفة الصف في المدرسة. الا ان السلطات الاسرائيلية ابت الا ان تظهر حقدها. لقد استدعي سمعان قيصر سمعان (ابو عفيف) الى التحقيق بسبب تعلقه بالفتى المصاب ورعايته. وليس هذا وحسب، فحتى اليوم كل شاب يخطب فتاة من اهالي سحماتا في لبنان، يكتب لها الصداق كرم زيتون او نصف دونم ارض في ارض سحماتا، رغم انهم يبعدون جسديا عن قريتهم وارضها مصادرة!

* لا يزال يحتفظ بمفتاح البيت *

اسعد خليل سمعان هو واحد من اهالي سحماتا، يعيش حاليا في قرية البقيعة. وهو واحد من الذين لا يزالون يحتفظون بمفاتيح البيوت منذ عام (١٩٤٨)، كانت المفاتيح في جيبه كبيرة، ليست كمفاتيح ابواب اليوم. جلسنا امامه في بيته في البقيعة، طلبنا المفتاح، اخرجه من «سكرة» الباب، سألناه كيف وأم المفتاح للباب الحالي فقال انه شحذ «لسانه» وقص منه قطعة، وعندما سألناه لماذا يحتفظ به والبيت قد هدم؟ قال: للذكرى. واطلق تنهيدة وصمت. وكان الصمت ابلغ ما يقال. واسعد يحتفظ ايضا بسكة الحراثة للذكرى.

عندما وصلنا الى البقيعة، وجدناه امام البيت ينجر عصا لـ «قدوم». واسعد رغم تقدمه في السن، يشارك اسبوعيا في اعمال التنظيف الجارية في سحماتا، لصيانة المقابر ولتأكيد الارتباط بالارض. قال: احضر عدة التنظيف للمرة القادمة.

طلبنا منه ان يروي كيف رحلوا الاهالي فقال: اذكر اننا كنا في شهر تشرين الاول من عام (١٩٤٨)، عندما اغارت الطائرة على القرية وقصفت البيوت. كانت البيوت عامرة وملأى بالمؤن. من شدة القصف تصدعت الجدران. بيوت كثيرة التهمتها النيران كليا، بيوت كثيرة هدمت. كثيرون قتلوا. يوسف جريس سمعان، كان في الحواكير، اصابته شظية وقتل في المكان. خليل سلوم، كان سارحا في البقرات عندما طخوه. واصيب عبد الرحمن حسين علي بالجنون، عندما طخوا ابنه الوحيد امامه، كان ابنه معصوب اليد، ظنوه كان في الجبهة مع جيش الانقاذ، وبدون استفسار او سؤال، لفوا شالا حول عينيه، ربطوه الى جذع زيتونة وطخوه، وكذلك كل من عنده ولد واحد، اخذوهم وربطوهم الى جذوع الزيتون وهددوهم بالقتل، اذا لم يسلم اهلهم البواريد.



* حجارة معاصر سحماتا المسروقة موجودة في «تسوريئيل»! *

لقد رحل اسعد الى لبنان، عاش بين السماء والطارق عدة اسابيع ورجع الى سحماتا، لكنهم منعوه، استأجر بيتا في البقيعة ولا زال حتى اليوم ينتظر العودة. وفي تاريخ (٤٩/٧/١) بعث برسالة الى مكتب الاراضي المتروكة في حيفا، مثل المئات من اهالي سحماتا، يطالب بالعودة. وجاء في الرسالة: «انني من جملة الذين اضطرتهم ظروف الحرب الاخيرة الى ترك بيوتهم. فتركت بيتي واملاكي في قريتي الاصلية سحماتا ولجأت الى قرية فسوطة المجاورة لاجهر بنفسي وعائلتي المكونة من (٦) انفار وذلك بتاريخ (٤٨/١٠/٢٦). واقمت في القرية المذكورة الواقعة ضمن دولة اسرائيل واقمت فيها اقامة دائمة كما يشهد بذلك المختار وغيره ولم اغادرها مطلقا، ثم حصلت على اوراق التسجيل من دائرة الاحصاء، ارجو من حضرتكم السماح لي بالعودة الى سحماتا لاصلح ارضي وبيتي واواصل عملي في سبيل العيش من املاكي وارزاقي فيها».

وماذا كان الرد؟ اجاب اسعد: رفضوا الرسائل وكان الجواب نسف الكنيسة والجامع وما تبقى من بيوت في سحماتا وكان ذلك في عام (١٩٥٣).

* العلاقات الاجتماعية *

كانت العلاقات الاجتماعية السائدة امتن واقوى من ان تنفصم بين اهالي سحماتا واهالي بيت جن بالذات. كانوا متآخين. وذكرت خزنة سمعان (ام عفيف) انها كانت وسلفتها في البقيعة في اواسط الخمسينات. ويومها لم تكن مواصلات بين القرى. وكان تاجر من بيت جن يبيع العنب والتفاح في البقيعة على الدابة. توجهتا لشراء العنب والتفاح منه. وخلال عملية الدفع، عرف التاجر انهما من سحماتا، فأقسم يمينا انه لن يأخذ اي قرش كرمال سحماتا. واعطى كل واحدة منهما ضعف ما ابتاعته مجانا.

وحتى اليوم لا تزال العلاقات متينة. وعلى سبيل المثال لا الحصر، اخذنا السيد اسعد كامل سمعان، الى عائلة عربية درزية في البقيعة. دخل الى البيت وكأنه بيته. سلم على اهالي البيت عناقا. وكان اسعد اودع عدة الحراثة عند العائلة وخلفتها سنوات طويلة. وقال صاحب البيت: كانت الناس لبعضها، لا فرق بين مسلم ومسيحي ودرزي. كلنا عرب. وكنا واهل سحماتا مثل الاهل واكثر. وحتى اليوم نتبادل الزيارات وعندما اذهب الى حيفا، حيث يسكن اسعد، اعرف ان لي فيها بيتا فأزوره وكأنني داخل الى بيتي.

* سرقة شواهد القبور من سحماتا *

قبل حوالي ثلاث سنوات، اكتشف اهالي سحماتا عملية سرقة شواهد القبور. عن ذلك قال اميل سمعان قيصر: كان شخص من اهالي سحماتا، يسكن اليوم في ترشيحا في عمله في معلوت، وفي احد الايام كان يعمل في بناء الجدران لاحد البيوت. ولاحظ في ساحة البيت شاهد قبر مكتوبا عليه اسم احمد اسعد سعيد عثمان، فتوجهنا الى الشرطة لتقديم شكوى. طلبت الشرطة عدم تسريب الامر الى وسائل الاعلام ووعدت بمعالجة الموضوع وبارجاع الشواهد المسروقة. ولتحت ملفا ضد السارق. ومرت حوالي سنتين ولم يرجع الشاهد. بادرنا لاحصاء الشواهد المسروقة وبلغ العدد (١٣) شاهدا. قدمنا شكوى اخرى في شرطة معونة حول سرقة الشواهد، وذلك في (٩٣/٦/٧)، الا انهم بحجة عدم وجود متهم رفضوا الشكوى. اثرنا القضية في وسائل الاعلام وقدمنا شكوى ضد دافيد صباغ، من معلوت وتوجهت برفقة شرطيين الى معلوت لرؤية الشواهد المسروقة.

ولم تقتصر السرقات على شواهد القبور. فقد سرقت حجارة معاصر الزيت ولا تزال موجودة في ساحات البيوت في «تسوريئيل» التي اقيمت على اراضي سحماتا. وقام اللصوص ببيع الحجارة. ومنها ما هو موجود في قرى عربية. ويقول اميل: لم يكن اي حارس في الارض. ونعمل اليوم على استرجاع كل حجر سرق من ارض سحماتا. ونطالب الهيئات المسؤولة بالسماح لنا بوضع غرفة متنقلة لحفظ عدة العمل ولحراسة الشواهد.

ويبقى السؤال: لماذا ينشط اهالي سحماتا اليوم ويطالبون بالعودة الى ارضهم المهجورة وقريتهم المهدومة؟ هل بفعل عملية السلام الجارية؟ يقول اميل: الامل موجود دائما والرغبة شديدة للعودة. والسلام عزز الامل. والسلام الحقيقي هو ان تعلن الحكومة الاسرائيلية اعترافها بحق العودة للمهجرين فيها الى قراهم واراضيهم. الامل موجود منذ ان ولدنا، نرضعه مع الحليب من اثداء الامهات ويسري في دمائنا. واول ما وعينا ونحن نردد كلمة سحماتا. ولو كل واحد يسند رأسه الى بطن الحامل، لسمع الجنين يردد كلمة سحماتا.

واضاف: الجميع يرغبون في العودة الى سحماتا. وغرس المسنون الآمال في ابنائهم واحفادهم. كانوا يخافون من البوح بما يعتمل في الصدور



* اسعد خليل سمعان (ابو جمال) واسعد كامل سمعان (ابو عادل) *

والقلوب تجاه ارضهم وذلك جراء الارهاب والقتل والتنكيل والاعتقالات والملاحقات، التي تعرضوا لها عام (١٩٤٨). وابى صغارهم الذين صاروا شبابا النسيان. واصروا على صيانة بقايا معالم وآثار القرية والمطالبة بالعودة اليها. ثم ما المانع في اعادتنا الى القرية. نحن لم نبع ولم نفرط بالارض. مساحات شاسعة من الاراضي مهجورة وصالحة للزراعة ومغروسة بالزيتون. التين واللوز والصبار، في الارض لم ييبس ولم يجف. وعودتنا

البقية ص١٦

تقرير «منظمة العمل الدولية» عشية الاول من ايار - عيد العمال العالمي - يرسم صورة خطيرة:

اكثر من ٨٢٠ مليون عاطل عن العمل في العالم يشكلون ٣٠٪ من مجمل القوى العاملة في ١٩٩٤!

■ (٣٥) مليون عاطل عن العمل في الدول الصناعية... الغنية! ■ مدير عام منظمة العمل الدولية: «العالم يمر اليوم في اسوأ واكبر ازمة اقتصادية منذ الازمة الاقتصادية في الثلاثينات»! ■ ناقوس خطر يدق ويستدعي وحدة العمال وتعزيز نقاباتهم ■

● شبح البطالة يتهدد العمال... في كل مكان! ●

استعراض: جواد عقل

□ تصدر «منظمة العمل الدولية» المتفرعة عن الامم المتحدة، ومقرها مدينة جنيف في سويسرا، تقريرا سنويا حول «وضع العمالة العالمية» وظروف التشغيل واستيعاب الايدي العاملة والبطالة وغيرها من الظواهر المتعلقة بقضايا العمال وتشغيلهم في مختلف المهن والحرف في دول العالم المختلفة.

□ الازمة عالمية! □

وقبل الدخول في بعض النقاط الاساسية لتقرير «التشغيل الدولي ١٩٩٥» الصادر عن هذه المنظمة، لا بد من الاشارة الى احدى النقاط الهامة والمركزية الناجمة عن معطياته. وهي تتعلق بالازمة التي تحيق بقضايا العمل والتشغيل عالميا. وهذه الازمة تعتبر من اخطر الازمات العالمية في مجال الاقتصاد. كيف لا ومعطيات التقرير تشير الى وجود اكثر من ثلث القوى العاملة في العالم في بطالة مستمرة! وهذا يعني ان هناك ما لا يقل عن ٤٠٪ من سكان العالم لا يجدون مصادر معيشية كافية لسد حاجاتهم الاساسية.

عندما قال مدير عام منظمة العمل الدولية، ميشيل هانسن، في المؤتمر الصحفي الذي عقده في مقر المنظمة في جنيف لعرض التقرير، بأن «العالم يمر اليوم في اسوأ واكبر ازمة اقتصادية منذ الازمة الاقتصادية في الثلاثينات» حدث صمت مطبق وارتباك لدى رجال الاعلام لسماع هذه الجملة من هانسن الذي شغل قبل تسلمه هذا المنصب في المنظمة، منصب وزير العمل في بلجيكا.

□ تفاقم متزايد من سنة الى اخرى □

وما الذي قصده هانسن من هذه الجملة القاسية والخطيرة يا ترى؟! هناك من يقول بأنه اراد ان يلفت النظر ويوقظ الرأي العام العالمي على الازمة الخطيرة التي تتفاقم من سنة الى اخرى، في عالم كل شيء يتم فيه بسرعة، وفي عالم تتطور فيه وسائل الانتاج، وتتحول هذه الوسائل من يوم الى اخر الى المكننة. وبذلك يجري الاستغناء عن الايدي العاملة، وعن الانسان كأحد مركبات العملية الانتاجية في الاقتصاد العالمي.

عندما قال هانسن ذلك قصد وبشكل واضح الفقرة التي جاءت في هذا التقرير الهام والتي تشير الى انه «في العالم الماضي (٩٤) ٣٠٪ من القوى العاملة في العالم كانت عاطلة عن العمل او بعضها عمل في اعمال مؤقتة». وهذا يؤدي طبعا الى وضع تشغيلي غير مقبول، يجري تشغيل العاملين بظروف صعبة. وهذه النسبة من البطالة تؤدي الى خلق ظروف منافسة غير مقبولة، وغير متكافئة، مما يؤدي في نهاية المطاف الى تعميق الاستغلال لجمهور العاملين في دول العالم المختلفة، والى توسيع الهوة ما بين الطبقات، والى زيادة الفوارق ما بين الدول الغنية والفقيرة. فهذه الازمة الاقتصادية، تضرب اولا الضعفاء، والطبقة العاملة في تلك الدول التي تفتقر الى المقومات الاساسية للمبنى الاقتصادي السليم.

□ الازمة تضرب الدول الصناعية - الغنية ايضا! □

نسبة ٣٠٪ من القوى العاملة في العالم، التي تعاني من البطالة تعني وجود اكثر من (٨٢٠) مليون شخص في العالم كانوا عاطلين عن العمل في العام الماضي ١٩٩٤. لكن التقرير لا يترك مجالا للشك لدينا، عندما يظهر لنا ان من بين الـ (٨٢٠) مليون عاطل عن العمل هنالك (٣٥) مليون شخص هم من الدول الصناعية في العالم، وهذا يعني ان (٧٨٥) مليون عاطل عن العمل هم من الدول غير الصناعية، اي دول افريقيا وامريكا اللاتينية وآسيا وشرق اوروبا، ووجود (٣٥) مليون عاطل عن العمل في الدول الصناعية - الغنية يشير ايضا الى وجود ازمة اقتصادية، اذا لم تعالج وبسرعة فسوف تتفاقم في المستقبل القريب.

□ تبذير موارد وتعميق المعاناة البشرية □

ولقد صدق مدير عام منظمة العمل الدولية في تحذيره بهذا الخصوص عندما قال: «هذه الحالة من البطالة تؤدي الى تبذير الموارد من جهة وتزيد من المعاناة البشرية من جهة اخرى». وهذا صحيح، وفقط من كان عاطلا عن العمل بامكانه فهم عمق هذا القول. فكون اكثر من ثلث القوى العاملة عاطلا عن العمل، يعني تفاقم هذه المعاناة للبشرية. ويعني انتشار الجوع والموبقات الاجتماعية. يعني بروز اجيال من العاطلين عن العمل واولادهم، يفتقدون للحاجيات الاساسية للحياة، الخبز والحليب، وما بالنا بالتربية والتعليم.

هذا الوضع يعني اننا سنواجه ازمة عالمية خطيرة، يظهر فيها الفقر بشكل مدقع، ويظهر فيها شباب وآباء يتسكعون في الشوارع بدون عمل، وبدون مصدر للعيش. يظهر فيها اولاد بدون مأوى او مأكل. وتظهر فيها فتيات ونساء تبحثن عن لقمة العيش في كل مكان ومقابل اي شيء. ويظهر فيها المجتمع البشري الحديث بأبشع صوره. تتطور هذا المجتمع وتقدمه، وعصرنته، والكترونياته، وغزوه للفضاء - كلها ستكون عاجزة عن توفير كأس حليب لطفل جائع.

□ ناقوس خطر! □

معطيات «منظمة العمل الدولية» هذه يجب ان تكون بمثابة ناقوس خطر للجميع في هذا العالم، نعم، ناقوس خطر للاغنياء من دول العالم قبل فقرائه. وهذا اثبات آخر لاولئك الذين القوا بجميع ثقلهم ووعيهم وفكرهم في سلة «اقتصاد السوق»، والمبدأ الاقتصادي القائم على «العرض والطلب»، في النظريات الاقتصادية ومعادلاتها والعمليات الحسابية الناجمة عنها، نحن بحاجة الى خلق موازنة حسابية لاقتصادنا من الفرد وحتى الدولة ومن ثم العالم. لكن كيف لهذه النظريات وهذه الموازنة من الصمود يا ترى، عندما يكون ثلث القوى العاملة في العالم عاطلا عن العمل لا ينتج ويفتقر للقوة الشرائية، ويتحول الى فئة فقيرة عاجزة عن مجاراة هذا العالم بقوته الشرائية وما يعرضه في الاسواق.

طبعا، نحن لا نرفض المبدأ الاقتصادي القائم على «العرض والطلب»، لكن ما قيمة هذا المبدأ، عندما يعرض علينا ولا يمنحنا الامكانيات الانتاجية - التشغيلية، لنربح، ونشتري بعض ما يعرض علينا من خبز وحليب وغيرهما من حاجياتنا الاساسية.

ويظهر ايضا من هذا التقرير بأن نسبة البطالة في الدول المختلفة مرتفعة جدا، ومن المتوقع ان تصل هذه النسبة الى حوالي ٢٥٪ في اسبانيا مثلا، وهي دولة اوروبية ذات موارد اقتصادية جيدة، وتم استثمار مليارات الدولارات فيها من قبل الدول الصناعية الاخرى، وتطوير الصناعات القائمة فيها، مثل صناعة السيارات، لاستغلال الايدي العاملة الرخيصة فيها وتكلفة الانتاج غير العالية بالقياس مع دول اوروبية اخرى مثل المانيا.

والمصيبة اكثر عندما يجري الحديث عن دول افريقيا او امريكا اللاتينية، فهذه الدول تفتقر للمقومات الاساسية للاقتصاد القائم على الصناعة بفروعها. ويشير التقرير الى ان ما بين ٦٠٪ - ٧٠٪ من القوى العاملة في هذه الدول يجري تشغيلها في الزراعة. وعندما يذكر في التقرير هذا «التشغيل»، فذلك يعني العمل الموسمي اولا، وكون هذه الدول واسعة ومواطنيها منتشرين في مختلف القرى التي تعتمد على الزراعة والمواسم الزراعية. وهذا يعني ان قوتها الانتاجية جيدة، او تقوم بتشغيل القوى العاملة فيها بشكل كامل. ونلاحظ في هذه الدول انتشار ظاهرة الفقر، وتوجه الملايين الى المدن بحثا عن فرص العمل، وتنتشر المخيمات واحياء الفقر، والموبقات الاجتماعية جراء هذه الظروف. والامر نفسه ينسحب على دول آسيا ايضا مثل الهند واندونيسيا والصين.

فهنالك ٦٠٪ - ٦٥٪ من القوى العاملة فيها ما زالت تعمل في الزراعة - اي في عمل جزئي، اي ان هناك نسبة عالية من البطالة وما ينتج عنها من مشاكل اقتصادية واجتماعية.

□ احتلال اقتصادي بثوب جديد! □

الشكل القائم اليوم للاقتصاد في عالمنا، هو شكل الاقتصاد المترابط معا، وما يحدث في ذلك الجانب من العالم له تأثير ونتائج على الجانب الآخر، ولذلك نجد بأن الرأسمالية تقوم بنقل صناعاتها من مكان لآخر، من اجل الاستفادة من ازمة هذه الدولة او تلك المنطقة، وتحول عالمنا الى تطوير وسائل الاستغلال لاصحاب الرساميل، وزيادة ضائقة الطبقات المسحوقة فيه. فنجد الدول، ومن اجل توفير اماكن عمل لجزء من مواطنيها تقوم بالتنازل عن قوانينها، عن سيادتها، وتمنح اصحاب الرساميل «حقوقا وامتيازات» بالامكان وضعها في اطار المفاهيم الاحتلالية في عصرنا الحديث. ولتوضيح قولنا هذا نقول: كلنا نسمع عن «مناطق العمل الحرة» و«مناطق التجارة الحرة»، فهذان المصطلحان يعنيان بوضوح نزع السلطة من ايدي الدولة والغاء قوانينها عن تلك المناطق، ومنح «حرية» استغلال العاملين فيها وجني الارباح عن بيع البضائع بدون اية ضرائب او رقابة من الدولة المعنية. وبذلك تتحول تلك المناطق الى سوق لصالح الجهات الكولونيالية من الرأسمالية بثوب جديد.

□ ضرب النقابات العمالية □

هذه الامور مجتمعة تفرض على الجهات المعارضة للرأسمالية، وللاستغلال، ولارباب العمل، وضع خطط جديدة لمواجهة هذا الواقع الخطير. ففي الجانب النقابي مثلا، حدث تقدم خلال الخمسة عقود الاخيرة، والنقابات وتنظيماتها وضعت خططا مشتركة، وقامت بالتنسيق معا من اجل مواجهة الواقع الجديد. واليوم وعلى ضوء وجود سوق عمل عالمي، غير متكافئ، لا في فرص العمل ولا في شروط العمل ولا في الاجور، هذا السوق الواسع يؤدي ايضا الى مردود جيد لاصحاب الرساميل، الذين يقومون باستغلال مثل هذه الظروف لضرب حقوق العاملين وانجازاتهم المهنية.

فأصحاب العمل يستغلون وبشكل بشع ضائقة البطالة هذه في العالم من اجل ضرب النقابات وعمالها، والامر نفسه تقوم به الحكومات ايضا بدون اي تحفظ، ونشهد مثل هذه الظواهر هنا في بلادنا ايضا.

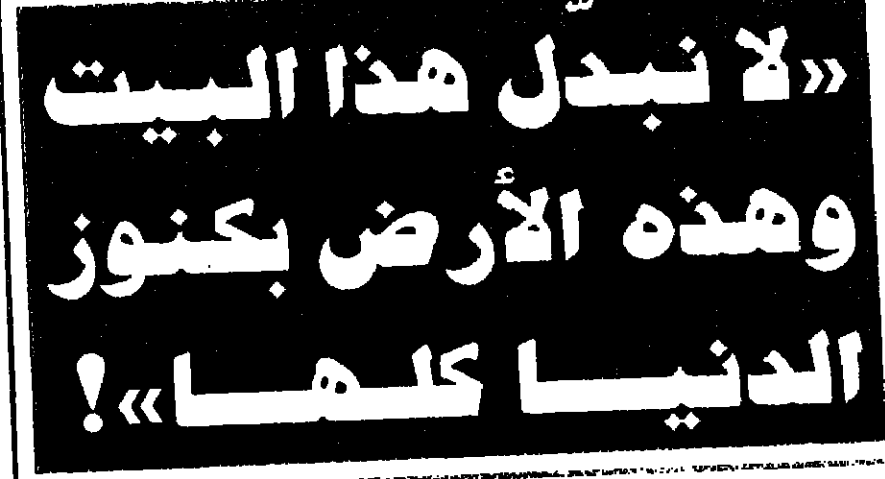
□ الوحدة العمالية... حاجة ضرورية وملحة! □

ظاهرة «سوق العمل العالمي» تفرض على النقابات العمالية في مختلف انحاء العالم توحيد صفوفها اولا، ووضع الخطط ثانيا، لمواجهة نوايا الحكومات واصحاب الرساميل. هذه النوايا واضحة لنا اليوم وتهدف الى تقويض كل البنى النقابية والتنظيمات العمالية في العالم، من اجل الانفراد بالعاملين، واستغلالهم اكثر، وسلبهم حقوقهم النقابية. لهذا هناك حاجة ماسة لزيادة التضامن العمالي العالمي، والتغاضي عن الخلافات السياسية وغير السياسية، واقامة وحدة عمالية عالمية، تضع الخطط في المجالات المختلفة، من حماية الحقوق النقابية والاجور ومنع الاستغلال من قبل اصحاب العمل، الى خطط شاملة لحماية الانجازات الاجتماعية للطبقة العاملة عامة في هذا العالم، فهناك من يرغب بالغاء اسس «دولة الرفاه»، التي تضمن الحقوق الاساسية للعامل في ضائقته، من بطالة وشيخوخة واصابات عمل، نعم اتحاد العمال ووحدتهم في عالمنا هذا، عبر مؤسساتهم النقابية التي هم بحاجة لها اليوم اكثر من اي يوم مضى، هو الضمان لحماية ما بقي من انجازات الماضي، والاستعداد للمحافظة على مكان العمل، وايجاد مكان عمل، يعمل فيه الانسان بكرامة، وافشال خطط ارباب العمل والحكومات الهادفة الى حل النقابات المهنية للعاملين، وتحويلها الى مجرد مكاتب يسيطر عليها ارباب العمل، كل ذلك يؤكد عمق الصراع واستمراريته ما بين صاحب العمل والعمال. هذا الصراع القائم على اساس محاولات صاحب العمل استغلال العمال وحتى استعبادهم، والانفراد بهم واحدا واحدا، في حالة عدم وجود نقابة لهم تحميهم وتحقق لهم الانجازات، لا يمكن لنا، نحن جماهير العاملين، الاستغناء عن وحدتنا، تضامننا، تكاتفنا، لان ذلك هو العربون لحماية حقوقنا معا، وكل ما ذكرناه يؤكد ضرورة ذلك.



«كوخ»... بيت وحيد في وادي سلامة.. «العيشة الهادية وراحة البال»

«لا نبدّل هذا البيت وهذه الأرض بكنوز الدنيا كلها»!





* ابراهيم وآمنة بشناق في فسحة منزلهما *

* ابراهيم وآمنة بشناق... مسنان يعيشان وحيدين في بيتهما في وادي سلامة... بعيدا في قلب الطبيعة *

* تقرير وتصوير: آمال شحادة *

« وايه ع ايام زمان.. ع الخبز في فرن الحطب والبرغل والفريكة ع الجاروشة والطبخ ع البابور.. الحياة البسيطة والهادية والطبيعة الجميلة والأرض المزروعة.. اي والله سقا الله نعود اليها ».

كثيرا ما سمعنا هذا الكلام من آبائنا واجدادنا.. ورحنا نشطح بتفكيرنا.. نحاول ان نرسم صورة نتخيل فيها تلك الحياة.. جمالها.. راحة البال.. الابتعاد عن تعقيدات الحياة.. حتى التقينا العم ابراهيم بشناق والعمة آمنة، زوجته... نشاهدنا امامنا صورة مصغرة عن تلك الحياة.. فهما لا يزالان يحتفظان ببعض الحياة القديمة.. يتمسكان ببيتهما القديم حيث الطبيعة الجميلة والهدوء ونسمات الهواء الساحرة.. هناك في منطقة وادي سلامة الخلابة، في بيت هو نقطة في بحر من اشجار اللوز والتوت والزيتون والرمان.. التقيناهما وكانت البسمة تغمرهما، وخاصة العم ابراهيم.. الذي لا يقبل بكنوز الدنيا كلها بدل بيته وارضه.. وبعد جلسة داعبتنا طول ساعاتها نسمات الربيع، تحمل لنا عطر نوار الربيع، تعرفنا على حياة عائلة لها صفات غريبة في عصرنا.

ووادي سلامة هو احدى أجمل المناطق في البطوف. انه الامتداد الطبيعي للأرض التي ارتوت بدماء ابنائها الذين هبوا للدفاع عنها

(البقية على ص ٧)

(البقية من ص ٦)

في الثلاثين من اذار في العام ١٩٧٦.

دخلنا اليه من مفرق عرابة. من الصعب ان تتعرف على البيت من بعيد. فهو مختبيء بين عشرات، بل مئات الأشجار. وحين طل علينا حسبناه كوخا لكن فيه سحرا خاصا لانه منحوت في الصخر وجدرانه بمعظمها من الصخر.. الباحة الواسعة امام البيت هي المنفس الذي تعيشه العمة آمنة. هنا تحت شجرة التوت تجلس وحيدة أو مع العم ابراهيم وتروح تغني ما تختزنه ذاكرتها من اغان وحتى تناويح.. بعضها تعلمتها من والدتها.

البيت مؤلف من غرفتين. احداهما تتميز بطبيعة بنائها.. «عندما تزوجت قبل حوالي ٤٥ سنة قضيت ثمانية اشهر مع اهلي ثم قررت السكن في بيت مستقل.. وكانت عندي قطعة الأرض هذه.. وهنا مكان هذه الغرفة كانت صخور كبيرة.. فحفرنا فيها حتى اصبحت مساحتها تناسب واجهتين لبيت. ثم بنينا جهتين أخريين، واحدة فيها الباب الرئيسي واخرى وضعنا فيها شباكا.. اما سقف البيت فبنيناه من جذوع اشجار الزنزلخت الغليظة وقمنا بصب الباطون عليه.. وبعد سنوات بنينا غرفة اخرى».

وهذه الغرفة، هي الديوان اليومي للعم ابراهيم.. رائحة القهوة العربية والفحم تنبعث في كل زاوية.. والقنديل الذي يستعمله في المساء لسهرة الليل في باحة البيت يتدلى في وسطها والى جانبه اباريق قديمة جدا. وعلى الأرض فرشتان لاستقبال الضيوف في النهار وفي الليل تتحول الى غرفة نوم.. باب الغرفة قديم جدا وكذلك الشباك. اما العمة آمنة فبسبب وضعها الصحي، تنام في الغرفة الثانية على سرير لعله يريحها ويخفف من آلامها.

ربما لا تكون حياة هذه العائلة غريبة جدا.. خاصة وان التقرير الاخير عن وضع الفقر في البلاد وفي الوسط العربي بشكل خاص، يتحدث عن عشرات بل مئات العائلات التى تعيش حياة فقر.. اصعب من وضع عائلة العم ابراهيم. فهو يملك حوالي عشرين دونما من الأرض يفلحها ويأكل من خيراتها. ويتقاضى في الشهر أكثر من الف شيكل من مخصصات التأمين. وبامكانه ان ينتقل الى بيت آخر كما اقترح عليه اقاربه عدة مرات، ليعيش حياة افضل. الا انه وباصرار يرفض مغادرة البيت.. اما العمة آمنة التي حاولت ان تتهرب من العديد من اسئلتنا فقد كشفت لنا عن رغبة اخرى لها.. و«لكن هذا حظنا وما بقي من العمر قد ما مضى».

* أفضل من اي مكان آخر! *

السبب الاول لاصرار العم ابراهيم على البقاء في هذا البيت هو جمال الطبيعة.. «ساعة في كل يوم أجلس أمام هذا الشباك لشرب القهوة العربية وأشم النسيم العليل أفضل من أجمل بيت في القرية او المدينة.. هنا لا توجد ضجة.. نستقبل كثيرا من الضيوف والأقارب.. الذين يحضرون لزيارة المنطقة ومنهم اليهود والسياح».. اما السبب الثاني لرفضه السكن في بيت آخر، وكما تبين لنا، فكان يأسه من الحياة بعد ان لم يرزقا بالاولاد.. «اي والله حظنا ما كان مليح لو الله رزقني بولد واحد كان وضعنا مختلف.. انا عدة مرات حاولت ان اقنع زوجي ان يتزوج واحدة ثانية وانا شخصيا ابحث له عنها، لكنه كان يرفض ويغضب كلما افتتح هذا الموضوع..

ايه الضنا غالي لكن الدنيا حظ.. وهذا حظنا».

العمة آمنة لم تفكر يوما ان تتوجه للعلاج للانجاب، فهي تعتقد بان الاصابة في ساقها عندما كانت في الثامنة عشرة من عمرها وتعاطيها كميات كبيرة من الدواء للعلاج، هي السبب في عدم انجابها.. «في حينه كنت متزوجة سنة واحدة.. حرثت الأرض وحضرتها للزرع.. وبعد ما قطفت الخيار وضعت كمية على الحمار وركبته متوجهة نحو البلد لبيعها.. وفي الطريق الوعرية، وقع الحمار فانكسرت ساقي وكانت الاصابة قوية.. ستة اشهر بقيت في المستشفى بدون اية حركة.. وبعدها طول الوقت واصلت العلاج.. وحتى اليوم ما بقدر امشي بشكل طبيعي. ولولا هذا الجهاز المساعد للمشي كان ما بقدر اتحرك». تحدثنا العمة آمنة التي لم يمنعها المرض من الاستمرار في عمل البيت حتى على الجاروشة.. «هناك انواع من الأكل طعمها افضل بصنع الجاروشة مثل البرغل والسميد والعدس والفريكة».. وحتى الطعام لا تزال العمة آمنة تطبخه على البابور ويساعدها في تحضيره العم ابراهيم.

«هناك ايام كثيرة صحتي ما بتسمح لي القيام باي نوع من العمل فبتحضر صبية عن طريق الشؤون بتساعدني في الطبيخ والغسيل والجلي».

والمطبخ هنا هو الباحة الرحبة، حيث حنفية الماء الخارجية وهي مصدر المياه الوحيد في البيت. للاستحمام ينقلان الماء الى الغرفة. والتيار الكهربائي وصل الى البيت قبل فترة قصيرة فقط.. «يعني مثل ما تقولي عيشة قديمة.. صحيح انها صعبة لكنا راضين بحظنا».

وعندما توجهنا للحديث مع العم ابراهيم.. توجهت العمة آمنة للجلوس تحت شجرة التوت.. تخطف من أشعة الشمس اللطيفة دفئها في ذلك اليوم.. «هنا تجلس لوحدها» قال العم ابراهيم.. فتوجهنا نحوها ورحنا نستمع الى أغانيها

أبكي على حالي وانا حي
ما زال الروح في الجثة وانا حي
صديقي ما ينفعني وانا حي
ويش بدي بي عند هيل التراب

***

تحت التوتة يا ما قعدنا
موضة الحبايب طيرت زعلنا

* «نجمان» سينمائيان! *

لا بد وان بعضنا يذكر العم ابراهيم والعمة آمنة، من خلال فيلم «المرضعة». فهما المسنان اللذان ظهرا في الفيلم في بيتهما صاحب الميزات القريبة جدا للبيت الفلسطيني التراثي.. حتى جهاز الراديو يحتفظ به العم ابراهيم منذ عشرات السنين. فهو سلواه في ساعات الليل والنهار.

وما يسمعه من اخبار واحداث يثير باستمرار أسفه وحسرته.. «سقا الله عَ ايام زمان». ويواصل الحياة على طراز تلك الأيام بحلوها ومرها. يتمسك بالأصالة. وبعفة النفس. ويتمسك بالأرض ويحرسها. يتمسك بشريكة حياته وبصونها. لا يطمع بأكثر من راحة البال. صفات غريبة في عصرنا. أليس كذلك؟!



* في داخل المنزل *

* بيت ابراهيم وآمنة بشناق في وادي سلامة *



● د. احمد سعد ●

هل يستوعبون العبرة؟

● ان عدم ايجاد الحلول الجذرية للقضايا الملتهبة التي تمس حياة ومعيشة وتطور الجماهير الشعبية الواسعة يشكل تربة خصبة لرواج البضاعة الديماغوغية الفاشية الفاسدة والعنصرية وزيادة قوة اليمين المتطرف. ونتائج انتخابات الجولة الاولى لرئاسة الجمهورية في فرنسا تجسّد مصداقية هذا التقييم. ففي ظل عجز الادارة الفرنسية عن مواجهة القضايا الملحة، وخاصة البطالة والجريمة، نجح اليمين المتطرف، بديماغوغيته الفاشية - العنصرية، بزعامة الفاشي لو بين رئيس «الجبهة القومية» ان يشغل المرتبة الثالثة من حيث النسبة وعدد الاصوات، وان يكون «لسان قبان» تقريبا في اقرار من سيكون رئيس الجمهورية المقبل، والتدخل في بلورة السياسة الاقتصادية والاجتماعية والخارجية.

ومن مصائب السياسة التي تنتهجها الاحزاب الصهيونية في بلادنا، من يمينها ويسارها، انهم يرون «القشة» في اعين غيرهم، كما يقول المثل، ولا يريدون رؤية «الخشبة» التي في عيونهم تهربا من استخلاص العبر الصحيحة. فنتائج الانتخابات الفرنسية، وخاصة صعود قوى الفاشية - العنصرية، اثارت الاهتمام والقلق لدى الاوساط والاحزاب السياسية المتعددة في بلادنا، ولكن ما هي العبرة التي يستخلصها ويستوعبها كل منهم من هذه النتيجة؟

ان العديد من القواسم المشتركة تجمع، من حيث الجوهر، بين طابع الصراع السياسي بين مختلف القوى في كل من فرنسا واسرائيل رغم اختلاف الظروف والقضايا المركزية المطروحة على ساحة الصراع. «فالجبهة القومية» بزعامة لوبين وغيرها من قوى اليمين المتطرف طرحت نفسها البديل للديغوليين والاشتراكيين والشيوعيين في تسلم السلطة وذلك من خلال التركيز على الشوفينية القومية والعنصرية في مواجهة القضايا الثلاث التي حولتها الى خطابها السياسي المركزي في الانتخابات وهي: الاجانب، البطالة، الجريمة، ومن منطلق وجود بطالة واسعة مزمنة والعجز في مواجهتها وجهت قوى اليمين المتطرف اصبع الاتهام ليس الى جوهر المجتمع الرأسمالي وآلياته بل وبشكل عنصري، الى ٣ مليون من العمال الاجانب الذين يعيشون

(البقية ص ١٦)

● علي عاشور ●

حتى لا تقع الكارثة!

● من اكثر من شعبينا - العربي الفلسطيني واليهودي - عانى من الكارثة او، بالاحرى، من مسلسل الكوارث؟!

ومن اكثر من شعبينا يدرك ان المهادنة والجبن هما من اهم مسببات الكوارث التي تصيب الشعوب؟!

فأم الكوارث - النازية في المانيا - التي نحتفل، في هذه الايام، بالذكرى الخمسين لانتصار الشعوب عليها، ما كان يمكن ان تنمو وتترعرع لولا انها لم تواجه في بدايتها سوى المهادنة والجبن، سواء في الداخل او الخارج.

ومثلها - التطرف - بأي شكل وبأي لون - لا يمكن ان ينمو ويترعرع الا اذا واجه في بدايته المهادنة والجبن في الداخل والخارج.

ونحن هنا، في هذه البلاد - عربا ويهودا - وصلنا، بسبب المهادنة والجبن في مواجهة التطرف، الى وضع لم نعد نعرف فيه الى اين نسير! اغلب الظن اننا نسير نحو الكارثة - اللهم الا اذا هدى الله الطرفين في هذه البلاد ومكنهما من التوصل الى اتفاق يحول دون وقوع الكارثة على الاقل.

ان رئيس الوزراء الاسرائيلي يتسحاق رابين مشغول، على ما يبدو، بتوطيد حكمه وبتحضير البلاد كلها الى مرحلة «الحكم الجديد» - «حكم الرجل الواحد» الذي يخلو مجتمعه من اية بذرة من بذور الاشتراكية ويخضع لاقتصاد السوق الذي يتطلب فقط: مجموعة من رجال الاعمال وصحافة وناس في الشوارع. وليس لديه وقت للاهتمام بالحاح «عملية السلام».

فلقد ادى الاقتصاد الاسرائيلي غير المتكافل مع الولايات المتحدة وسقوط الاتحاد السوفييتي الى نشوء وضع جديد تماما في اسرائيل، طلبت واشنطن في اعقابه، وحصلت، على تأكيدات بأن «الاقتصاد الاشتراكي» في اسرائيل سوف يستبدل باقتصاد آخر اكثر انفتاحا. وهذا معناه «تخليص» الاقتصاد الاسرائيلي من «قيود» الايديولوجية الصهيونية بالاضافة الى «قيود الاشتراكية»، اي ان يصبح الربح هو المحرك الوحيد «لاسماك القرش» الرأسمالية المتوسطة والصغيرة في الداخل والخارج الامر الذي يمكن ان يعرض للخطر التكافل الاقتصادي الاسرائيلي - الامريكي نفسه (المجموعة الاوروبية واليابان يمكن ان يحلاً محل الولايات المتحدة لان عدم التكافل الاقتصادي الامريكي الاسرائيلي يمكن ان يؤدي الى نتائج غير متوقعة بالنسبة للمؤسسة الحاكمة في اسرائيل).

ولقد تمكن رابين، حتى الآن، عن طريق المجموعة التي كان يتزعمها رامون، من القضاء على «وكر الاشتراكية والبيروقراطية» في اسرائيل الذي كان يعشعش في قلب الهستدروت ومن تحويل هذه المنظمة العمالية الهائلة التي كانت تتحكم باقتصاد البلاد بأسره، في يوم من الايام، الى منظمة ضعيفة «لا تهش ولا تنش»، مجردة من كل ايديولوجيا، ولا تستطيع حتى ان تحتفل رسميا بعيد العمال العالمي - عيد اول ايار!

وتمكن حتى الآن، ايضا، من ان يحكم البلاد من خلال مجموعة ضيقة من قادة الجيش والامن وعدد ضئيل جدا من المستشارين الذين يخضعون لسيطرته مع السماح لمجلس الوزراء الداخلي (المصغر) المشكل من اهم وزراء الحكومة بالاطلاع، الى حد ما، على حكمه ومراقبته!

وكما هو معروف اقرت الكنيست قبل سنتين قانونا يقضي بأن ينتخب رئيس الوزراء، من الآن فصاعدا، بشكل مباشر. ومعنى ذلك ان الكنيست لن تتمكن بعد الانتخابات العامة القادمة، من اسقاط الحكومة ولو صوتت بأكثريتها ضدها. وما على رئيس الوزراء في هذه الحالة الا ان يجري تعديلات في الوزارة بحيث تحظى بثقة الكنيست!

وكما قلنا فان شغل رئيس الوزراء الشاغل، حاليا، هو الاعداد للمجتمع الجديد في البلاد، الذي يسوده «اقتصاد السوق» بدون قيود «اشتراكية» او صهيونية. والذي يخضع لحكم الرجل الواحد وتجري فيه السيطرة السياسية من القمة الى القاعدة وليس بالعكس.

فبامكان «عملية السلام»، في رأي رابين، ان تنتظر «المجتمع الجديد» ولكن ليس بامكان «المجتمع الجديد» ان ينتظر «عملية السلام»!!

وهكذا.. مع ان قائد الاركان الاسرائيلي امنون شاحك، الذي وقع اتفاق القاهرة مع الفلسطينيين والذي تعرف على الفلسطينيين، اكثر من غيره، عن كثب، اعلن، يوم الاثنين الماضي، امام لجنة الخارجية والامن التابعة للكنيست، ان مواصلة الحصار على قطاع غزة لزمن طويل ستؤدي الى انهيار السلطة الفلسطينية وان روح الكراهية تزداد في قطاع غزة تجاه اسرائيل، خصوصا بين اولئك الذين تأثروا من الحصار المفروض على القطاع.

ومع ان وزير الخارجية شمعون بيرس اكد ان الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات يبذل اقصى ما يستطيع من جهد لوقف اعمال العنف ضد اسرائيل، الا ان رئيس الوزراء يتسحاق رابين لا يزال يصر على عدم التقدم قيد انملة نحو تنفيذ المرحلة الثانية من «اتفاق اوسلو» الا اذا «اقتنع» ان الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات «يحارب الارهاب بشكل فعال».

اما متى سيقتنع السيد رابين بأن الرئيس عرفات «يحارب الارهاب بشكل فعال» فهذا علمه عند الله وعند السيد رابين!

فهل انا ابالغ اذا قلت اننا - في اغلب الظن - نسير نحو الكارثة؟!

مع ذلك لا يزال هناك امل في ان يتوصل الفلسطينيون والاسرائيليون سريعا الى اتفاق حول تنفيذ المرحلة الثانية من «اتفاق اوسلو»، وخاصة بعد ان اعلن المفاوض الفلسطيني، حسن عصفور، ان الفلسطينيين والاسرائيليين يجرون اتصالات بعيدة عن الاضواء، حول اعادة انتشار القوات باشراف عرفات ورابين وبيرس.

فهل سيتمكن الفلسطينيون والاسرائيليون، في نهاية المطاف، من تجنب الكارثة؟

لا يسعني الا ان اتطلع الى السماء، واقول: يا رب!

● عفيف سالم ●

الاحتكار مرفوض

■ اعلنت سلطات الاحتلال الاسرائيلي، هذا الاسبوع، عن اعتقالها لخليتين معاديتين للاحتلال في كل من الخليل وجنين. افادت هذه السلطات ان المعتقلين ينتمون الى التيار الاسلامي والى حركة «فتح»، وابرزت قولها ان اعضاء «فتح» المعتقلين يشتبه بأنهم قاموا بتصفية ثلاثة عملاء، من منطقة جنين في الاشهر الاخيرة.

● كان بالامكان اعتبار ما اعلنته سلطات الاحتلال خبرا عاديا، اذ انها تستمر ومنذ وقت طويل في اعتقال كل تلك العناصر المعادية للاحتلال وبغض النظر عن انتماءاتها الفصائلية، لولا ان هذا الاعلان ترافق مع الاحداث التالية:

اولا - ان سلطات الاحتلال نفذت في الاسابيع الاخيرة حملة اعتقالات واسعة في صفوف حركة «فتح» في الضفة الغربية. خاصة في منطقة رام الله والقدس.

ثانيا - ان مصادر مطلعة في السلطة الفلسطينية تحدثت عن تقدم ملموس في المفاوضات والاتصالات التي اجرتها مع قيادة التيار الاسلامي في قطاع غزة، وذلك بهدف تهدئة الخواطر في تلك المنطقة وسد واغلاق السبل امام كل من يحاول تفجير الصراع والاحتراب الداخلي الفلسطيني - الفلسطيني.

ثالثا - اعلان رئيس الحكومة، يتسحاق رابين، بأن حكومته لن تعترف بأي اتفاق يتم بين السلطة الفلسطينية وبين التيار الاسلامي لا يضمن ليس، فقط، وقيام افراد او مجموعات التيار الاسلامي من تنفيذ العمليات من داخل المناطق الموجودة تحت سلطة السلطة الفلسطينية، بل ايضا لا يضمن «سلامة الاسرائيليين» في الضفة الغربية وفي اسرائيل ذاتها.

رابعا - مماطلة الطرف الاسرائيلي المفاوض في اطلاق سراح الاسرى والمعتقلين الفلسطينيين من سجون الاحتلال.

خامسا - استمرار محاولة حكومة رابين في الحديث عن انفراج، بات مؤكدا، في المفاوضات الاسرائيلية - السورية. وتعزيز للعلاقات الاردنية - الاسرائيلية.. اي بكلمات اخرى استغلال التمايزات القائمة في مواقف الاطراف العربية المفاوضة في صالح المخطط الاسرائيلي.

ويميل بعض المراقبين الى الاعتقاد ان تزامن هذه الخطوات السياسية الملموسة مع الاعلان عن اعتقال افراد هاتين الخليتين يهدف الى تحقيق امرين اساسيين هما، اولا - المشاركة الاسرائيلية الفاعلة في الحوار ما بين السلطة الفلسطينية وما بين التيار الاسلامي اما من اجل افشاله والدفع باتجاه تفجير الاقتتال الفلسطيني - الفلسطيني او من اجل زرع الشك ما بين الطرفين الفلسطينيين واستغلال الامر في صالح الاهداف الاسرائيلية الواضحة. ولعل الامر يهدف الى تحقيق هذه الامور مجتمعة. خاصة وان الاجواء الجماهيرية والشعبية العامة لدى الرأي العام الفلسطيني تشير الى التفشم المستمر بأمل هذا الشعب حول ان المسيرة التفاوضية ستحقق اهداف واحلام الشعب الفلسطيني في الحرية والاستقلال وممارسة حقه في تقرير مصيره.

وحقيقة هي ان حكومة رابين لا تعرض موقفا جديدا في ممارساتها التفاوضية او السياسية هذه، فهي تستمر بالسياسة والتكتيك والنهج الذي اختطته واتبعته منذ توقيع اعلان المبادئ، في واشنطن في ايار لعام ١٩٩٣. ففي تلك المرحلة خرجت جموع من الشعب الفلسطيني رافعة اغصان الزيتون زارعة اياها على سيارات المحتل العسكرية، الا ان الآلة العسكرية في حينه قتلت عدة شبان متظاهرين ترحيبا بالسلام. وكان ادعاء سلطات الاحتلال في حينه انها فوجئت بردود الفعل هذه وانها لا تملك القدرة على التفريق ما بين اولئك المتظاهرين المؤيدين لمسيرة السلام وبين اولئك الذين بمقدورهم استغلال الظروف للقيام باعتداءات على «سلطات الامن»، ولعل تلك السلطات في حينه، وهذا هو الامر الاكثر قربا من الحقيقة، لم تتوقع القبول الفلسطيني بهذه المسيرة السلمية، ولهذا لم تغير شيئا في اوامرها على اساس ان الرفض هو الكلمة الاحب والاكثر قربا من فكر وعقل وقلب الفلسطيني.

اذكر ان سلطات الاحتلال في حينه فرضت حظر التجول على مدينة الخليل. وبرر داني روتشيلد في حينه هذا الامر بقوله: ان الامن واستتبابه يستدعي مثل هذا الحظر وان كان العرب هم ضحيته الاساس. واكد روتشيلد في تصريحاته في حينه ان عرفات وقع على اعلان المبادئ، وقبل باتفاق اوسلو وعليه ان ينفذه كسلة واحدة.. واضاف ان قضايا الاسرى والمعتقلين لا تحتل اي بند في الاتفاق الموقع. وان امر هؤلاء، يرتبط بأمن اسرائيل وحساباتها.

كان داني روتشيلد في حينه احد ابرز المفاوضين الاسرائيليين. وفي حينه مال بعض المراقبين الى الاعتقاد بأن يتسحاق رابين، وزير الدفاع ورجل الامن التقليدي، يرغب في فرض عقليته العسكري على مسار التفاوض الاسرائيلي - الفلسطيني من خلال مهموثيه.

هذا ما كان واضحا وظاهرا في اواخر العام ١٩٩٣. فما الجديد الذي نراه في منتصف العام ١٩٩٥!؟

الجواب القاطع - لا جديد في المسار الاساس، وان كانت حدثت بعض الخطوات المتجهة الى امام. وتخطئ، حكومة رابين اذا ما اعتقدت ان احراج السلطة الفلسطينية او الدفع باتجاه الاحتراب الفلسطيني - الفلسطيني او الاعلان عن تلك الخطوات الضاغطة بامكانها ان تحقق لها النجاح او تحقيق اهدافها. فالسلام طريق ذو اتجاهين يخدم الطرفين، ولا يمكن ان تكون مكاسبه حكرا على طرف واحد..

* فشة خلق * يكتبها: يوسف فرح*

ألا مثل هذه فليكن الرجال

– لماذا لا تضع رأسك بين الرؤوس وتنادي على قطاعها؟ سألته.

– لانني ببساطة ارفض ان اكون الخسة او حبة البنادورة التي تزين موائد السياسة الحكومية وتفتح شهيتها، ولا اقبل ان اكون نجمة نحاسية لامعة، او شريطا يزين كتف هذه السياسة، ويبرئها من دم ابن يعقوب امام جمعيات الدفاع عن حقوق الانسان.

– آه.. لو انك تتنزل عن «عنصورك» قليلا! لوجدت الكثير من المؤسسات الشعبية والرسمية تتناوب على دعوتك لطرح افكارك، وجعل الاخرين يفكرون مثلك، فما انت الا صاحب فكر وقلم، ولقاءاتك لا تدخل دائرة التطبيع، فلست تاجرا ولست سياسيا!

– تلك بضاعة وهذه بضاعة! بل ان بضاعة العقول والافكار اخطر بكثير من الملابس الداخلية وكل اصناف الكعكة المحلية والمستوردة، وانواع السمك المملح والمدخن قاطبة!

– لخبرنا يا قرعاء من ابن نيوسك! ما الذي تريده وتطلبه؟

– لا اطلب سوى ما يطلبه اولئك المنادون بالتريث وعدم الارتماء على «عنق التطبيع»، الى ان ينهض الطرف الاسرائيلي بما اخذ على عاتقه من التزامات واستحقاقات. وهو لن يفعل، ما دمنا نتفتح كل يوم في مجال جديد، مهما بلغت حرارة التصريحات في «حلقات الذكر» التطبيعية. فهذا هو بالضبط ما ترمي اليه حكومتنا، سواء حلت القضية الفلسطينية – لب الصراع كما ما زلنا نؤكد – او «ستين عمرها ما تنحل»!

منذ متى يشغلوننا بنيتهم «البريئة» في تعيين سفير للدولة في فنلندة، يكون «اسمر عربي شرط» كما كانت نجاح سلام تشترط في عريسها ايام الوحدة العربية الاولى والاخيرة! ولا يجدون! فهذا طويل وذاك قصير، وذلك ذو موقف من جمعية الرفق بالاكراد، ورابع صوته رفيع، وربما يشترطون في المرشح مستقبلا اداء فريضة الحج، والصلاة وصيام رمضان والتحريم في الصوم الاربعيني الكبير!

كأن القضية ان يكون منا سفير او لا يكون! ويوهموننا ان قضايانا كلها ستجد حلولها «السمسمية» بمجرد ان تطأ قدم السفير/ة ارض هلسنكي الباردة فاتحا/ة!

لقد جعلونا – وسيجعلوننا – نشغل مناصب رفيعة وغليظة معا، نائب وزير، مدير دائرة، وربما يستوزرون بعضنا في اجيال قادمة، فهل اثر ذلك في تغيير شيء! انهم بنفس السياسة السابقة يحصدون معظم اصواتنا وكراماتنا، فلماذا لبضنا غير تصريحات «الخجل من اوضاعنا» المزرية!

لنفرض ان جماهيرنا افرزت – وهي ستفرز حتما – مرشحا بجينات وراثية تطابق المقاييس الحكومية، فهل ذلك يوقف دوي البعوض الذي يحرم جفونك من النوم؟

– اي بعوض هذا الذي تتحدث عنه؟!

– عفوا! لقد ازعجني دوي بعوضة امس، فاختلط علي الامر، ولم اعد اميز بين دويّها، وهي تخترق جدار الصوت حول سريري، وطنين طائرة ف ١٥ «الوادعة» التي «يتحرش» بها «مخربو» لبنان!

ترى كيف سيعرض «سعادة» السفير موقف بلاده من قضايا السلام والاحتلال والسلاح النووي، ومساواة الجماهير العربية... والصحفيون خبثاء ملاعين، اول سؤالهم كقطر الندى، واخره كالسم «السقطري»:

سعادة السفير! لقد فرضت حكومتكم على قطاع غزة سياجا شائكا تتعثر به قدم المفاوض الفلسطيني، كيف تفسرون ذلك؟

(ابن الـ... اهذا يحتاج الى تفسير)

سعادة السفير! سلاح بحريتكم يحاصر امواج لبنان منذ شهرين، ما هو تعليقكم!

سعادة السفير! بعيدا عن الامور الشخصية، لكن ربما تكون بالصدفة من ابناء اقرث، كفربرعم، سحماتا، الدامون، حطين، صفورية.. كيف تفسر عدم عودتك الى قريتك حتى الان؟!

اما علقة! سيسألونك الان عن التعليم والصناعة والزراعة في الوسط العربي، فبماذا تجيب! اللهم اعم قلوبهم عن «عبد الصمد حريزات»!

(لكن ما ذنب المخابرات اذا كان جسده لا يتحمل كلمة وردٌ غطاها!)

ان ما تحتاجه جماهيرنا حقا ليس سفيرا لا في بولندة، ولا في اليونان، ولا حتى في اي قطر عربي من تلك الاقطار المتهافتة انظمتها على بسمة من رئيس حكومتنا او وزير خارجيته، بل الى قرار بالمساواة والسلام، ينفذ فورا وتراجعيا، بحيث لا يعود موقد شعلة الاستقلال، بدويا كان او عربيا او درزيا (بالتقسيم الرسمي) الى قريته ليتحسر على شارع معبد او حديقة عامة، او ملعب لكرة القدم!

اقترح على «سفيرنا» (انا) في فنلندة ان يجعل مهمته الاولى في تلك البلاد الباردة، فحص هويات القاطنين فيها، ورخص سياقتهم، وليقل لي بعدها ان وجد اية علامة فارقة تفضح قوميتنا!

لن يجد، فلماذا يقبل تجرع هذه الكأس المرة، ولماذا لا نصر على المساواة وحل القضية الفلسطينية شرطين للمنصب! وهل نرضى ان نظل خسة او حبة بنادورة او شريطا.

والف وردة لعيني هالة حزان مع الدال او بدونها سيان...

عن جد

حتى لو كان مستشرقا ووزيرا وبروفيسورا، ومن منبع عربي، واسمه شمعون شطريت، فلا يحق له ان يتمنى للحجاج المغادرين «حجا مبرورا وسعيا مشكورا وذنبا مغفورا» لابراز قدراته في اللغة العربية...

● مرزوق حلبي ●

حذار من موقف المتفرّج

اعتبرنا انتهاء تفرّد حزب العمل بقيادة الهستدروت انقلابا تاريخيا سيما ان الهستدروت منذ تأسيسها قبل (٧٥) عاما كانت في قبضة حركة العمل على ادوارها. وهذا الانقلاب يتسارع بشكل تفقد فيه هذه المؤسسة/الدولة مكانتها وهيبتها بعد ان تآكلت اسسها الفلسفية وتداعت هيكلياتها التنظيمية وتقلصت الى ادنى حد مواردها المالية. ولم يكن هذا الانقلاب ليحدث لولا تحولات في بنية المجتمع الاسرائيلي تجسدت في اصطفاف جديد للقوى الاجتماعية السياسية بقيادة الجيل الجديد الخارج من صلب «حركة العمل» وعلى قياداتها التقليدية.

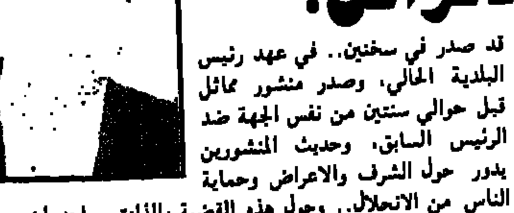
ونقول المؤسسة/الدولة لان الهستدروت شكلت في انشطتها الاقتصادية الصناعية (كور) والزراعية (تنوفا) والانشائية (سوليل بونيه) وفي الخدمات التي قدمتها للاعضاء، الصحة (صندوق المرضى العام) والتعليم (اورط، شلاف) والرياضة (هبوعيل) والثقافة (شبكة من النوادي ودور نشر ومطبوعات)، شكلت قبل العام ١٩٤٨ بديلا للدولة. بل انها في دعمها لجهود حفظ امن التجمعات اليهودية والمستوطنات المتزايدة عبر علاقة احتضان لجهاز الاستخبارات و «البلماخ» ومن ثم «الهجاناة»، كانت كدولة قائمة فعلا وينقصها الاعلان الرسمي واعتراف الدول الاخرى! وبامكاننا ان نجزم دون مجازفة ان الهستدروت كانت في مرحلة من المراحل مطابقة لمصطلح الدولة. وقد ظل الوضع على هذا النحو في السنوات الاولى التي اعقبت قيام الدولة. الا ان الوضع تبدّل بحيث كبرت الدولة على الهستدروت التي بقيت في تطابق مع «حركة العمل». فاذا قلنا العمل قلنا الهستدروت. والعكس صحيح. فقد ظلت قيادات الدولة وفي كل مؤسساتها لا تصل الى مواقعها القيادية الا عبر المرور في اروقة الهستدروت واقبيتها وهرميتها! لكن ما يحصل الان في الهستدروت هو نقيض ما كان. فالسيرورة الجارية ستفضي الى انكماش الهستدروت في حدود نقابية وليس بمفهوم تقليدي، صدامي ومكافح. والانحسار في هيبة الهستدروت يقف الان عند مرحلة تحويل جهازها الى هدف لتحقيقات بوليسية مكثفة ستطال كما يبدو عددا كبيرا من المسؤولين السابقين فيه وكل نظام الادارة وفلسفة العمل اللذين كانا سائدين حتى الان. وتبدو لنا الهستدروت، اليوم، مؤسسة ضئيلة ضامرة مستضعفة لن تسعفها القيادة الجديدة التي تسعى الى بناء هستدروت جديدة، وليس افضل بالضرورة! ويخيل اليّ ان التحقيقات الجارية مع المسؤولين السابقين في الهستدروت تجري في جو من النقمة والانتقام، وكأن المجتمع الاسرائيلي يقاضي ماضيه بحاضره ويحاكم مؤسسة تاريخية لعبت دورا مركزيا في حياة هذا المجتمع!

الا ان المؤسسة الهستدروتية ليست الوحيدة التي

(البقية على ص ١٦)

● غازي ابو ريا ●

كفى!! لا يزايدنّ احد في الاعراض!



لقد اصبحت السياحة، فرعا اقتصاديا هاما لكل امة، لكل مدينة او قرية. والمجتمع العربي الاسرائيلي، يشهد «صحوة سياحية»، وهذه الصحوة المحمودة، جعلت السلطات المحلية العربية، تنتبه الى آثارها المهملة، ينابيعها المتروكة.. تراثها الذي يتلاشى شيئا فشيئا.

والصحوة السياحية، كانت عاملا هاما في دفع السلطات البلدية والمحلية نحو حملات نظافة عامة تحسن البيئة وتجعلها اكثر جودة لحياة الانسان المحلي قبل السائح..

وللسياحة فوائد كثيرة لن اهملها هنا، لكن قبل الحديث عنها، لا بد من الانتباه الى محنة الشعب المصري.. حيث يعمل الاصوليون هناك على ضرب السياحة المصرية.. وهدفهم زعزعة اقتصاد الدولة.. والعمل على انهيارها، ليتسنى لهم استلام السلطة.. لذلك فان ضرب الفرع السياحي المصري تواكبه عملية ريبة الرأسمال الاجنبي من الاستثمار في مصر.. والحجة البالغة التي يلوح بها الاصوليون، هي الحفاظ على شرف الفتاة المسلمة!! ومنع التقاليد الغربية من دخول مصر. هذا هو قميص عثمان، فهم الاوصياء على الشرف، الاوصياء على الاخلاق، وما تبقى من الشعب يخدمون رسل الانحراف والتحلل!!

والاصوليون في بلادنا، يقلدون الاصولية المصرية وغيرها كلمة بكلمة، ويرددون ما يقال هناك. ولنقرأ ما كتبته الحركة الاسلامية في سخنين في منشور ٩٥/٤/٢٢: «لقد فاجأتنا ادارة البلدية الحالية باستضافة المئات من المحتفلين بأعيادهم من جميع مناطق البلاد الى منطقة وادي العين حيث قامت الاحتفالات والافراح وتم تمثيل عرس عربي وعريس وعروس وقام الجميع بالرقص والغناء واختلطت الفتيات العربيات والشباب العربي بغيرهم من المحتفلين.. ودفاعا عن قيمنا ومبادئنا واعراضنا نستنكر ونشجب العمل الذي قامت به الادارة الحالية للبلدية»... «يجب علينا ان نتعاون كي نرقى بمجتمعنا ونحمي ابناءنا وبناتنا من الانحراف والتحلل والذوبان، واننا ندعو اهل بلدنا الى نبذ مثل هذه الاعمال وعدم المشاركة فيها...».

والملاحظة الاولى، ان منشور الحركة الاسلامية المذكور، جاء بلهجة مخففة، قياسا بالمنشور الذي اصدر في عهد مجلس سخنين السابق والذي كان بادارة جبهوية، والملاحظة الثانية ان المغزى واحد، والقصد واحد وان اختلف الاسلوب الانشائي، فللحركة الاسلامية نظرة اجتماعية تختلف تماما عن توجهات الاحزاب والحركات الاخرى..

لذلك، فاعتقادي، بأن وحدة الجماهير العربية وبالتعاون مع القوى اليهودية التي تؤمن بقضايانا القومية.. في وجه السلطة هي قضية هامة جدا.. لكن هناك قضية هامة اخرى.. وهي وجهة المجتمع العربي الاسرائيلي، هل تحكمه سلطة محلية تحب الانغلاق، تخشى من كل غريب.. الم يخلقنا الله شعوبا وقبائل!! الم يقل القرآن الكريم ذلك؟ الم يجعلنا شعوبا لنتعارف!؟ وكيف يكون التعارف بين الشعوب!؟ اليس بالسياحة؟ الم يقل الرسول «سافروا تصحوا»؟!

فالتعارف بين الامم فريضة قرآنية.. والسياحة سنة نبوية.. فما هذا الاجتهاد الذي يلغي الفرض والسنة؟!

والحجة الاصولية «الاعراض»!.. وما كان المنظر ضد الصحوة السياحية قد صدر في سخنين.. في عهد رئيس البلدية الحالي، وصدر منشور مماثل قبل حوالي سنتين من نفس الجهة ضد الرئيس السابق، وحديث المنشورين يدور حول الشرف والاعراض وحماية الناس من الانحلال.. وحول هذه القضية بالذات.. اجد ان من العار ان يزايد احد على الرئيس الحالي والسابق كذلك.. واقول اكثر من ذلك، ان كل الرؤساء الذين انتخبتهم سخنين حتى يومنا هذا هم امناء بنسبة ١٠٠٪ في الشرف والاعراض.. وقد تكون استقامتهم في هذا المجال هي القاسم المشترك الاوحد بينهم..

ماذا يعيب سخنين مثلا؟ لو زارها الف سائح كل يوم؟.. لماذا نسمح لانفسنا بزيارة اي مكان نهفي ونخشى على انفسنا من الزائرين؟ ما الخطأ في عرض تراثنا وما لدينا من اماكن تشدّ السائح للزيارة؟.. هل نخاف على شبابنا وشاباتنا؟ انهم يشاهدون في التلفزيون كل انواع السياحة في الشواطئ والفنادق وبرك السباحة..

والبلدية اليوم، تسعى لتشجيع السياح للوصول الى سخنين.. والمبيت فيها، حيث يستطيع كل مواطن، تخصيص بعض الغرف في مكان ما في بيته للسياح، ويمكنه بناء شبه فندق متواضع بسيط للسياح، فما العيب في ذلك؟! وبدأ بعض الناس في الاستفادة من هذا المشروع السياحي، والرؤساء العرب «يقاتلون» من اجل تنمية السياحة في الوسط العربي، لانها تعني المزيد من الميزانيات، حفظ التراث، انعاش السكان اقتصاديا.. والاستثمار في مجالات تحسين البيئة، فهل نرفض ذلك؟

هل نخشى على اجيالنا من مهرجان التراث العربي حيث مثلوا «عريسا وعروسا»؟ ففي كل صيفنا هذا المهرجان؟ وهل نخشى من سائحة ترتدي تنورة، والتلفزيون في بيوتنا، يأتي لنا بكل العالم، يأتي بكل شيء ويقذفه امام اعيننا وبكل صراحة!!

وكلمة ليست للاعلان، لكن للحقيقة، ان الجليل بجباله وينابيعه ووديانه واهله وعاداتهم. الجليل، ولينس تعصبا، هو اكثر مناطق الشرق الاوسط جمالا.. وبوابة الجليل بسخنين وما حولها من التجمعات السكانية... ومع كل الاحترام لكل الجليل اقول، ما اجمل الجليل والسياحة في انحائه – لكن قرى البطوف هي المدخل وسخنين القلب..

وطوبى لمن يجعل بلده قبلة السائحين.. ثم كل اللوم على الذين يمنعون بلدهم من الازدهار بحجة واهية كاذبة. اما اخر القول مع هؤلاء الذين نصبوا انفسهم «اوصياء» آلهة للاخلاق، الى هؤلاء، وفي سخنين كمثال اقول: انا اعرفكم فردا فردا.. بعضكم ما زال مراهقا. والبعض في سن الزواج ولما يتزوج.. والبعض منكم تزوج ورزق بالبنين او البنات وهم في عمر الطفولة، لكنني، انا وغيري، من الذين تكتبون لهم «دروس الاخلاق» في مناشيركم، نخشى بالاذى من حديثكم، لان بناتنا يزعجهن هذا الطعن في اخلاقهن وقدرتهن على صيانة شرفهن..

وكلمة اخيرة الى من يسمون انفسهم بالحركة الاسلامية.. في سخنين ومصر والجزائر، ان [illegible] لا يفكر صفوه الا مضايقات جنسية، من الالام اباحية [illegible] «والحركة الاسلامية الجنسية»!!

● اميل حبيبي ●

كلنا في الهم، كتّاب!

● ويأتيك بالانباء من لم تزود! ففي الاسبوع الماضي جاءنا، من حيث لم نتوقع، دليل آخر ومتميز على ان المجتمع الاسرائيلي هو الذي لا يزال غير ناضج لعلاقات السلام المرجوة مع الفلسطينيين ومع العالم العربي كله.

وانا لا اتحدث الان عن الاوساط اليمينية العنصرية، داخل المجتمع اليهودي الاسرائيلي، التي تبلغ نسبتها الى المجتمع الاسرائيلي كله حوالي النصف. وذلك في الوقت الذي لا تزيد فيه نسبة المعارضين للتسوية السلمية، في المجتمع الفلسطيني، على ١٥ – ٢٥ بالمئة.

انما اتحدث الآن عن القرار الذي اتخذه، في الاسبوع الماضي، المؤتمر الـ ٣٧ لرابطة الكتاب العبريين في اسرائيل برفض تغيير اسم الرابطة حتى يتسنى للكتاب العرب في اسرائيل الانضمام اليها. ويذكر انه منذ العام ١٩٧٢ يحاول خيرة الكتاب اليهود الاسرائيليين الغاء صفة العنصرية عن «رابطة الكتاب» حتى يتسنى لزملائهم العرب الانضمام اليها كما تسنى للعمال العرب الانتساب الى النقابة القطرية – «الهستدروت» – بعد ان تخلت عن اسمها ذي الصفة العنصرية. وكان الكتاب اليهود الاسرائيليون، الذين طالبوا الرابطة بتغيير اسمها حتى يتسنى لزملائهم الكتاب العرب الانضمام اليها، قد اضطروا الى الانسحاب من الرابطة احتجاجا. وكنا انتظرنا ان تؤثر الاوضاع الجديدة على قادة هذه الرابطة، الآن، ولكن هيهات!

قد يشعر العديد من قراء مقالي هذا، لاول وهلة، ان القضية التي اثيرها في هذا المقال هي قضية جانبية امام الاحداث المصيرية التي تجري الآن في بلادنا وفي منطقتنا. ولكن ملابسات هذه القضية، وتداعياتها، من شأنها ان تلقي الضوء على عدد من زوايا العلاقات العربية – الاسرائيلية. وذلك من منطلق مقالتنا القديمة: «وكم في الزوايا من خبايا». فاسمحوا لي ان اشغلكم بهمومنا «الخاصة» ولو في السنة مرة واحدة!

فمن الحجج، التي اعتمدت للابقاء على العزلة العبرية للرابطة، ان الحاجة للدفاع عن مستقبل الثقافة العبرية قد ازدادت الآن امام اخطار الانفتاح على العالم العربي وثقافته العريقة. لقد سألني المذيع في التلفزيون الاسرائيلي عما اذا كان قرار الرابطة العبرية في هذا الاتجاه سيعزز مواقف اولئك الكتاب العرب الذين يحرمون الحوار مع الكتاب الاسرائيليين. فأجبته ان العكس هو ما اتوقع حدوثه خصوصا بين اولئك الكتاب العرب الذين يبررون مواقف الحرمان، الذي يعلنونه، بخوفهم على مستقبل الثقافة العربية من «خطر» الثقافة العبرية! انني اعرف ان تحريم الحوار مع الكتاب الاسرائيليين لا ينطلق كله، وفي الاساس، من هذه الحجة الهزيلة والمهينة. بل ينطلق، في الاساس، من الاعتقاد بأن التحريم الثقافي هو نوع اضعف الايمان في مقاومة العدوان الاسرائيلي على الشعب العربي الفلسطيني. انني، بهذا ابذل اقصى الجهد في تفهم هذا التحريم وفي اضفاء الشرعية السياسية عليه. ولكن، هل يستطيع الواحد منا ان يخرج من جلده – من موقعه ومن تجربته هو نفسه؟!

وحين سألني المذيع في التلفزيون الاسرائيلي: ما حاجتكم، انتم الكتاب العرب في اسرائيل، الى الانضمام الى رابطة واحدة مع زملائكم اليهود الاسرائيليين؟ اجبته: حتى ولو لم نكن في حاجة الى هذا الامر فان مجرد القرار برفض انضمامنا الى الرابطة هو اجراء سياسي عنصري لا نستطيع الا التصدي له واستنكاره اشد الاستنكار. وهؤلاء الكتاب اليهود الاسرائيليون، الذين اتخذوا هذا القرار، قد اساؤوا الى انفسهم اكثر مما اساؤوا الينا. فلن يستطيعوا الانفتاح الثقافي على العالم العربي الا عبرنا، عن طريقنا.

ولكننا في حاجة سياسية ماسة، نحن الكتاب العرب الفلسطينيين في اسرائيل، الى التقاء زملائنا اليهود الاسرائيليين التقاء مباشرا وفي تنظيم واحد. فقد اثبتت تجربتنا اننا، في مثل هذا اللقاء، نستطيع ان ننقل الحقيقة الفلسطينية العادلة اليهم. نفحم المتعصبين من بينهم ونلجم تسيبهم. ونؤكد للمتعقلين من بينهم صفة السماحة في تراثنا العريق وقدرة هذا التراث على ان يقدم لهم البديل الآمن عن سياسات العدوان والاحتلال والتفوق العسكري التي تمارسها حكوماتهم. هذا ومن المعروف ان خيرة الكتاب اليهود الاسرائيليين قد انسحب من هذه الرابطة تضامنا معنا ومع قضايانا العادلة. فكيف نخذلهم في موقفهم الاخلاقي الشريف هذا ونتخلى عن الذين لم يتخلوا عنا؟!

وارجو الا يفكر اي واحد منكم انني، بآرائي هذه، اتصرف مثلما تصرف ذلك الشخص في فولكلورنا الفلسطيني الذي كان يحدث الجارة حتى تسمعه الكنة – «واحكي لك يا جارة، حتى تسمعني الكنة»! فأنا آخر من يدعو الى تعميم التجربة الخاصة على خلق الله اجمعين. فلكل منا مصالحه المحلية الشرعية. وكنت اتمنى لو استطعنا ان نتفق على امر واحد، في نهاية مطافاتنا المتعددة، وهو ان نترك القرار الفلسطيني لاهله وان ندعمه لا ان يستهدف بعضنا استغلال المشاعر القومية الثقافية للطعن بما تريده القيادة الفلسطينية الشرعية لشعبها من طريق حتى يكمل مشواره الشرعي في وطنه.

ومن الملفت للنظر ان المسؤولين عن مؤتمر «رابطة الكتاب العبريين» لم يجرؤوا على دعوة اي واحد منا، نحن الكتاب العرب الفلسطينيين في البلاد، الى حضور المؤتمر ولو بصفة ضيوف. فلما طالبتهم وزيرة الثقافة، شولاميت ألوني، بتغيير اسم الرابطة وضم «الآخرين» اليها، صاح المؤتمرون في جوقة واحدة: «ليهتم الآخرون بانفسهم»! واحد اصدقائنا، الكاتب العبري امنون شموش، اضطر الى تعنيفهم والقول لهم انه: «جاء الوقت لاجراء حوار بين الكتاب الاسرائيليين والكتاب في الدول العربية». فجاء قرارهم في مضمونه، برفض اجراء هذا الحوار لا من جانب الكتاب في البلاد العربية بل من جانب الكتاب الاسرائيليين. قلت لكم: ان المجتمع الاسرائيلي، لا العربي، هو الذي ينقصه النضوج لتقبل العلاقات الجديدة العادلة والمتساوية. وذكرتني هذه الفضيحة الجديدة بما اصابنا في العام ١٩٤٧ حين اسرعت بعض الانظمة العربية آنذاك الى رفض قرار الامم المتحدة باقامة دولتين في فلسطين ذاتي سيادة. ولو تمهلت هذه الانظمة لفترة قصيرة لبان المخفي منذ ذلك الحين. وهو ان المسؤولين الاسرائيليين، منذ ذلك الوقت وحتى الآن، هم الذين رفضوا ويرفضون قرار «التقسيم» واقامة الدولة العربية الفلسطينية على تراب فلسطين. وخوفي من ان يكون بعض الزملاء، العرب الذين يحرمون الحوار، يكررون هذا الخطأ نفسه خصوصا اولئك الذين لا شغل لهم سوى التنكر لحق الشعب العربي الفلسطيني، وقيادته الشرعية، في تقرير قراره الفلسطيني بنفسه. فدولة اسرائيل قائمة منذ حوالي خمسين عاما. وهي، اذا صح التعبير، تزداد قياما من عام الى عام ويطوقها المزيد من الانظمة العربية بأطواق البقاء والازدهار. واما القضية المهددة بالخطر وتحتاج الى كل دعم ممكن، سياسي وقومي وثقافي، فهي قضية الدولة العربية الفلسطينية على التراب الوطني الفلسطيني – قضية بقائنا في وطننا الذي لا وطن لنا سواه.

وهذه القضية – قضية بقائنا في وطننا الذي لا وطن لنا سواه – هي قضيتنا الثقافية الاولى والتي تحكم خطابنا الثقافي من موقعنا هذا الذي لا موقع لنا سواه. لقد حافظنا على موقعنا وواصلنا تراثنا الثقافي العريق على الرغم من سني العزلة التي فرضت علينا وعن سني القهر القومي الذي عانيناه ولا نزال نعانيه. ولم نطلب من احد دعما فوق طاقته ولم تزدنا العزلة الا اعتمادا على انفسنا. اثبتنا اننا، في مواجهة التحديات المصيرية، «قدها وقدود». ولكننا حاولنا، ونحاول دائما، ان لا نخذل معينا وان لا نخيب امل صديق فينا – شقيقا كان هذا الصديق او «آخر». لقد ادركنا ان هذا «الآخر» ليس سوبرمانا ولكنه ليس صفرا في الوقت نفسه. ومثلما نحتاج اليه يحتاج الينا. وجدنا اننا واياه سواسية في الايجابيات كما في السلبيات، شأننا شأن مجتمعات الكتاب في شتى انحاء العالم. فنحن سواء بسواء، نعيش في حالة من الانقسامات والخلافات الانانية حتى اصبح بعضنا اشبه بالجائع الذي يأكل لحم اخيه. لقد توقعنا من هذه الوحدة التنظيمية مع زملائنا الكتاب اليهود ان تساعدنا على الخروج من هذه الانقسامات والخلافات. فاذا الحالة لديهم اسوأ من الحالة لدينا. وحين قيض لنا الانفتاح على بعض الاقطار العربية وجدنا بلوى اشقائنا، زملائنا، هناك لا اقل من بلوانا ولو اختلفت المضامين حتى صدق فينا القول: «تعددت الاسباب والموت واحد»! فعدنا على انفسنا اسلم عاقبة مؤكدين لانفسنا، المرة تلو المرة، اننا «قدها وقدود».

ونستبشر خيرا بما اجمع عليه المعلقون الثقافيون في الصحف هنا من ان «رابطة الكتاب العبريين»، بقرارها الرفضي، قد دقت المسمار الاخير في نعشها فلم يعد امامها سوى الاختفاء من الوجود. ولفت هؤلاء المعلقون انظارنا الى ان العصر الذي نقبل عليه لا يتحمل هذا النوع من التنظيمات الثقافية ذات الايديولوجيات الجاهزة. وان ما نحتاج اليه هو تنظيم نقابي فحسب للكتاب شأن التنظيمات النقابية المهنية القائمة. وهذا ما لم يتحقق، حتى الآن، هنا. فعسى ان يستفيد اشقاؤنا من سلبيات تجربتنا اذا لم يستطيعوا ان يروا فيها اية امور ايجابية. وقد يكونون على حق في رؤيتهم وهم، اولا واخيرا، احرار رؤاهم ونتمنى لهم ان يحافظوا على هذه الحرية.

اما نحن فأفقر من ان نفرط بأي صديق ولسنا موهوبات حتى نقعد في انتظار مجيء «جودو» – نحن وشعبنا الذي لا ندين بالولاء الا له. سنعمل ليومنا كما لو انه ما لنا سوى انفسنا. وسنعمل لغدنا كما لو ان الكاتب للكاتب اخ ونصير يجمعنا الدفاع عن حرية المبدع في ابداعه وحرية شعبه في وطنه، وادراكنا اننا كلنا، في الهم، كتّاب!

● بشير البرغوثي ●

مدخل لاعادة لحمة الصفوف

● امامنا تصريحان متناقضان صدرا عن الوفد الفلسطيني المفاوض في القاهرة احدهما ينفي وجود مفاوضات «سرية» والآخر يؤكد وجود مثل هذه المفاوضات!

ولربما كان وجود مفاوضات ولو سرية ما يساعد على حل لغز المثابرة على مفاوضات الانتخابات قبل الاتفاق على اعادة توزيع القوات الاسرائيلية ونقل صلاحيات الادارة المدنية الاسرائيلية الى السلطة الفلسطينية في الضفة الغربية. اذ لا معنى للمفاوضات حول انتخابات يفترض اجراؤها بعد اعادة التوزيع ونقل الصلاحيات الا اذا كان انسياقا وراء التكتيك التفاوضي الاسرائيلي او لوجود مفاوضات موازية حول المسائل الاخرى.

لكن الغريب ان السلطة الفلسطينية وهي تباشر العملية التفاوضية المقزمة الى عملية تفاوض حول تكنيك اجراء الانتخابات لا يبدو انها استفادت من التجربة التفاوضية السابقة حينما كان الطرف الاسرائيلي يسعى لتفتيت الموضوع التفاوضي من خلال تشكيل لجان مختلفة حول مواضيع مختلفة دون تقيد بسلم الاولويات من وجهة النظر الفلسطينية.

فلقد بدأ الوفد الفلسطيني المفاوض في واشنطن بخطة تفاوضية كان البند الاول فيها وقف الاستيطان وكان الثاني تطبيق اتفاقية جنيف الرابعة والثالث تحديد الاولوية الجغرافية للسلطة الفلسطينية بحدود الاراضي المحتلة منذ عام ١٩٦٧ دون استثناءات.

لكن هذه الخطة تعرضت على الدوام، ومنذ البداية، لعمليات التفاف غريبة، وكان هناك في الوفد الفلسطيني وفي اللجنة العليا للمفاوضات من يدعو ويعمل من اجل التفاوض حول جزئيات القضايا وصولا الى عمومياتها عبر عملية، كما قيل «تراكمية» تقود بالحتم الى التطبيق الكامل لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢!.

ولقد نجح هؤلاء في تحويل الاتجاه التفاوضي وانتصرت الدعوة الى سياسة «التراكم» عبر تحقيق «نجاحات» صغيرة كما كان يقال.

ولقد مر زمن منذ ذلك الوقت جرب خلاله فريق هذا النهج «التراكمي» نفسه ونهجه، وولدت اتفاقيات ثم استنزفت المفاوضات لتطبيقها. وعاد هؤلاء مرة اخرى لنهج التراكم بأمل ان يحققوا «نجاحات» صغيرة على طريق تنفيذ اتفاقيات سبق ووقعوها مع الطرف الاخر ونفذوا ما عليهم بينما بقي الطرف الآخر يماطل ويقودهم الى متاهات جديدة!

والتكتيك التفاوضي الاسرائيلي بات مكشوفا حتى لبعض الذين استبعدوا وجوده في البداية، وقللوا من اخطاره على المسيرة التفاوضية. ولقد قاد التساوق مع هذا التكتيك الداعي للبحث في «القضايا السهلة» وترك القضايا المعقدة الى وقت لاحق ليس فقط الى فقدان سلم الاولويات بل والى عملية تجزئة مستمرة لتلك «القضايا السهلة» بحيث باتت عملية التفاوض الحالية مقتصرة على الاجراءات بدءا بالتصاريح وتخفيف قيود الاغلاقات المتعاقبة وانتهاء باجراءات الانتخابات بينما غاب الموضوع الاساس وهو التخلص من الاحتلال الاسرائيلي عن طاولة المفاوضات حتى في جزئياته المؤتلفة في الاتفاقيات!

والسؤال الذي يلح بالاجابة على السلطة الفلسطينية هو اما كفاكم تجربة هذا النهج التفاوضي وانتم تلمسون نتائجه وترون كيف ضاعت الاولويات الجوهرية؟!!

ان قدسية الهدف الوطني الفلسطيني يجب ان لا تسمح لاحد ان تأخذه العزة بالاثم. وتفرض على اصحاب ذلك النهج مراجعة حساباتهم في ضوء ما تحقق وما نحن فيه! ولعل هذه المراجعة يمكن ان تكون مدخلا مناسبا لحوار وطني يستهدف، حقا، لحمة الصفوف الوطنية!.



التدخين كعادة سيئة في الافراح والاتراح في الوسط العربي

* نسبة المدخنين الفعليين في الوسط العربي ٧٠٪ *

* د. محمد عبد الخالق *

4 في مجتمعنا العربي هناك عدد من العادات الايجابية السليمة والمفيدة للمجتمع اذكر منها الكرم وحب مساعدة الغير. وهناك عادات مضرة يشكل استمرارها عاملا من شأنه ان يكون سببا لأمراض قد تؤدي احيانا الى الموت.

احدى هذه العادات: التدخين. فهذه العادة معروفة في المجتمع العربي في الافراح وفي الاتراح منذ وقت طويل. حيث يقوم اهل الفرح او الترح بتوزيع السجائر على المشاركين عدة مرات وحثهم على التدخين.

ان نسبة المدخنين فعليا في الوسط العربي في اسرائيل تصل الى ٧٠٪. في حصيلة الأمر نصل الى ان كل المجتمع مدخن. نتيجة للتدخين غير الارادي. فـ - ٣٠٪ يتنشقون دخان سجائر المدخنين بصحبتهم بشكل مناقض لارادتهم.

ومع الأسف فان الاحصائيات الاخيرة.. وفي الناصرة بشكل خاص دلت على ارتفاع بنسبة المدخنين بين النساء والشباب. بعكس ما كان عليه الوضع قبل عشر سنوات. حيث ان عادات احترام الآباء وعدم التدخين بحضورهم كانت اشمل وبالتالي كانت نسبة المدخنين أقل.

نتيجة لاضرار التدخين وتسببها بأمراض القلب والاوعية الدموية وامراض سرطان الرئة والتسبب في تشوهات الاجنة عند النساء الحوامل، وصلنا في ابحاثنا واجتماعاتنا في اطار المدينة الصحية كمشروع للتنمية والتثقيف الصحي. فبدأنا بحملة توعية ضد التدخين في المستشفيات، سبقها تحضير الكوادر اللازمة للقيام بهذه الحملة. فكان المتشفعون الاساسيون منها زوار المستشفيات والمرضى وكادر الاطباء والممرضات وسائر العاملين. وأعددنا كوادر مثقفين صحيين من طلاب المدارس عن طريق المحاضرات التي تتعلق بعادة الادمان على التدخين وطرق الفطام منه واخطاره. ففي «اليوم العالمي بدون تدخين» شارك الطلاب في حملة التوعية في المستشفيات ضد التدخين ودعوة الناس للتوقف عنه مفسرين اضراره ومخاطره. ووزعوا نماذج للاحصاء على الزوار والمستخدمين وتقديم وردة بدل السيجارة.

وقد برز في الاحصاء فيما بعد ان ٥٠٪ من المدخنين ابدوا استعدادهم للتوقف عن التدخين وان ٩٠٪ وافقوا على الامتناع عن التدخين بصحبة آخرين خاصة في المستشفى.

وفي النهاية.. ان عادة التدخين في الافراح والاتراح في الوسط العربي عادة قديمة وسيئة. معالجتها صعبة جدا وتتطلب طاقات كبيرة واشراك جميع فئات المجتمع. آخذين بعين الاعتبار رجال الدين والاشخاص القادرين على التأثير على المجتمع كالكتاب والادباء والصحفيين. والأهم، المباشرة بشرح هذه الاخطار على طلاب المدارس في مراحل مبكرة.

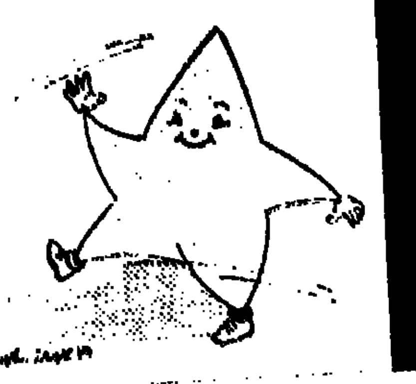
* تذكير...

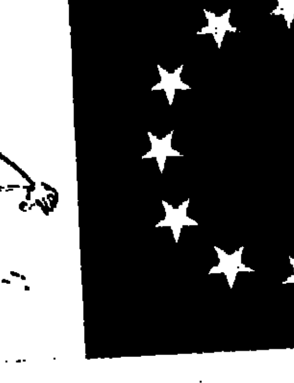
تطرقنا في العدد الماضي الى المؤتمر العالمي للمدينة الصحية الذي عقد في العاصمة الاسبانية مدريد بين الفترة ٢٢ - ٢٥/٣/١٩٩٥. ولأهمية ما كان فيه من أبحاث ومداخلات سنتطرق هذا الاسبوع ايضا الى بعض المحاضرات التي القيت. ونفتتحها بمحاضرة د. محمد عبد الخالق الذي مثل بلدية الناصرة كمركز للمشروع، وقدم مداخلة حول: «التدخين كعادة سيئة في الاتراح والافراح في الوسط العربي». وسوف نتطرق في الاعداد القادمة الى بعض المحاضرات حول الوضع الصحي في بعض من دول العالم المشاركة في المؤتمر.

(المحررة)



* د. محمد عبد الخالق يلقي مداخلته في المؤتمر *





المشاكل التي عالجها المؤتمر والتوصيات التي خرج بها فيما بعد

عالج مؤتمر مدريد للمدينة الصحية:
- مشاكل حماية البيئة.
- دخان السيارات في المدن.
- اخراج السيارات من مراكز المدن.
- الامراض المعدية «كالايدز» - و«البوليو»
- المواطنين بدون مأوى
- البنايات المصنوعة من الزجاج وكونه عاملا للاشعاع مضرا للصحة
- التثقيف الصحي
- المخدرات وطرق معالجتها.

اما التوصيات التي خرج بها المجتمعون فكانت على النحو التالي:
- العمل من اجل بيئة نظيفة وآمنة بكيفية عالية تشمل السكن.
- العمل من اجل بناء مجتمع قائم على مساعدة الواحد للآخر بدون استغلال.
- بناء جهاز مراقبة شعبية لمراقبة القرارات المتعلقة بالصحة والبيئة.
- بناء جهاز مراقبة وتفتيش على الأغذية والماء والبنية التحتية لكل مدينة.
- بناء جهاز بلدي موجه للحياة الاقتصادية في كل مدينة (كالسياحة مثلا).
- بناء جهاز تثقيفي للتنمية الصحية وصحة البيئة.
- التعاون بين جميع الاقسام الفعالة في البلدية ومشروع المدينة الصحية.
- توسيع البحث في مواضيع البيئة والصحة العامة.
- مكافحة امراض «الايدز» و«البوليو» وغيرها. ومكافحة المخدرات والكحول والتدخين.

الفحص بالمنظار.. للتخلص من انتفاخات البطن وآلام المعدة والامعاء...... وغيرها

* بقلم: د. جابر خوري *

* «دسبسيا».. هي الاحساس بالاوجاع الخفيفة، انتفاخات خفيفة، التعب من البطن احساس بالغثيان والرغبة بالتقيؤ، عدم راحة بالبطن.

هذه الاحاسيس هي من اكثر الحالات التي تواجه غالبية الناس. وتمر يوميا على طبيب العائلة الذي يفحص يوميا حالات شبيهة. وكثيرا ما يكون المريض قد تناول ادوية من انواع Block - H2 ضد افرازات المعدة والامعاء من الخلايا مثل TAEAMED; ZANTAC; GASTRO مؤكدا للطبيب بانه تناول من تلك الادوية من صديقه الذي يعاني من نفس العوارض وساعدته للتخلص من تلك الأحاسيس بصورة افضل من الأدوية التي تناولها في السابق.

لذلك اجريت مقارنة بين فريقين. تم في الاول اجراء الفحص لكل مريض واعطاؤه واحد من الانواع المذكورة. والثاني اعطي ادوية واجري الفحص فقط لمن لا يستجيب للعلاج. مع الأخذ بعين الاعتبار الامور التالية:

* تشخيص المرض ومما يشكو المريض.
* المستوى الاجتماعي والاقتصادي.
* مدى رضى المريض عن حالته الصحية.
* تكلفة العلاج للمؤسسة الطبية التي ينتمي اليها المريض.

شارك في المقارنة (٤٠٤) مرضى. فوجد ان لدى ٢٣٪ من مرضى الفريق الاول مرضا عضويا (جرح بالاثني عشر) بعد أن اجري لهم الفحص بالمنظار منذ اللحظات الاولى للعلاج.

لذلك، بعد فحص التجربة تبين انه حتى لو انتظر المريض فترة طويلة بدون اجراء الفحص بالمنظار فانه لن يوفر المال ولن يساعده ذلك. فنصحوا باجراء فحص منظاري لكل الذين يشكون من هذه الاوجاع او الاحساس بالتقيؤ والانتفاخ لمدة طويلة.

نؤكد مرة أخرى ان هذا يبقى مجرد بحث. لكن الأهم من ذلك انه اسهل مما يتصور للبعض من الناس. فهو فحص دقيق وفي هذه الفترة بالذات هناك عودة للاهتمام به لانه أثبت علميا ان هناك قسما لابأس به من المرضى الذين يشكون من قرحة في المعدة وبالذات الوسمية منها، يكون مصدرها نابعا عن الميكروبة المعروفة باسم «بالهيليوبكتيريا» والتي يختلف علاجها عن علاج القرحة بدون الميكروبة المذكورة.

لذا ننصح كل مريض يشكو من آلام في البطن او يشعر باحساس غير مريح التوجه الى طبيبه وطلب اجراء لفحص عام لجسمه.

* د. جابر خوري *

في رسائل وجهتها «جمعية نساء ضد العنف»

* اقتراح التعديل تقدمت به «جمعية حقوق المواطن» و«لوبي النساء» ويرمي الي احداث تغيير جوهري في نظام المعالجات القضائية للقضايا العائلية *

* في خطوة جديرة بالاهتمام، قامت جمعية «نساء ضد العنف» بتعميم رسالة على عدد كبير من الجمعيات العربية واليهودية، النسائية والاجتماعية دعتها فيها لتأييد اقتراح تعديل لقوانين العائلة كانت تقدمت به جمعية حقوق المواطن ولوبي النساء، لوزير القضاء، دافيد ليبائي ولجنة الدستور والقانون في الكنيست.

ففي هذه الأيام يجري في لجنة الدستور والقانون في الكنيست بحث مشروع تعديل لقوانين العائلة يجري بحسبه تركيز جميع صلاحيات المحاكم المركزية للنظر في القضايا العائلية، طلاق، زواج، نفقة، حضانة الأطفال، تقسيم الاملاك، تثبيت الابوة في اطار محكمة صلح تدعى محاكم العائلة. ويأتي اقتراح جمعية حقوق المواطن ولوبي النساء كتعديل اضافي يصحح وضعا قائما في القانون الاسرائيلي يميز بين فئات المواطنين المختلفة وامكانية توجههم للقضاء المدني في هذه القضايا، بحيث يصبح لجميع الفئات الامكانيات نفسها وبشكل متساو.

ان الوضع القائم اليوم يتيح لليهود والدروز امكانية الاختيار في التوجه للقضاء المدني بدل الديني في مواضيع النفقة وحضانة الأطفال وتقسيم الاملاك وغيرها ولكنه يعطي المحاكم الدينية صلاحية مطلقة فقط في موضوعي الطلاق والزواج. بينما يختلف الأمر لدى المسيحيين اذ تمنح المحاكم الكنسية صلاحية مطلقة اضافية في موضوع النفقة. اما الاجحاف الأكبر فهو بحق المسلمين اذ ان جميع القضايا العائلية هي صلاحية مطلقة في يد المحاكم الشرعية ويحظر على المسلمين التوجه للقضاء المدني في هذه القضايا.

ونظرا لأهمية الموضوع وانعكاساته على واقع وحياة فئات واسعة من جمهورنا وخاصة النساء العربيات فلقد تبنت «جمعية نساء ضد العنف» هذا الاقتراح وبادرت الى ارسال رسائل تأييد له للجنة الدستور في الكنيست ولوزير القضاء، واعضاء الكنيست العرب وعضوات الكنيست والجمعيات داعية لتأييده.

وتؤكد الجمعيات في اقتراحها على ان الاقتراح في حالة اقراره سوف يشكل فتحة أمل للعديد من النساء المسلمات والمسيحيات لتحصيل حقوقهن وحقوق اطفالهن بشكل افضل. خاصة وان الأسس والمبادىء التي تستند اليها المحاكم الدينية في اصدار احكامها مختلفة عن تلك في المحاكم المدنية مما يخلق في الكثير من الاحيان فجوة في الاحكام الصادرة عن الطرفين ويؤدي الى احكام افضل ولصالح النساء والاطفال اكثر في المحاكم المدنية.

ان هذا الاقتراح لتعديل القوانين في حالة اقراره لا ينتقص من صلاحيات المحاكم الدينية اذ تبقى لديها صلاحية النظر في هذه القضايا ولكن بالاضافة الى ذلك يعطي لمن يرغب في ذلك امكانية التوجه للقضاء المدني.

ومما يلفت النظر ان هذه الحملة تأتي في اطار روح تعاون وتكاتف بين الجمعيات من اجل الهدف المشترك بغض النظر عن التنافس الفئوي والرغبة في تسجيل الانجازات الذاتية وهو ما نطمع للوصول اليه بين مختلف الجمعيات الخيرية.

* نساء من بلادي

[illegible]

تنظيم وقت النوم لطفلك في عامه الأول

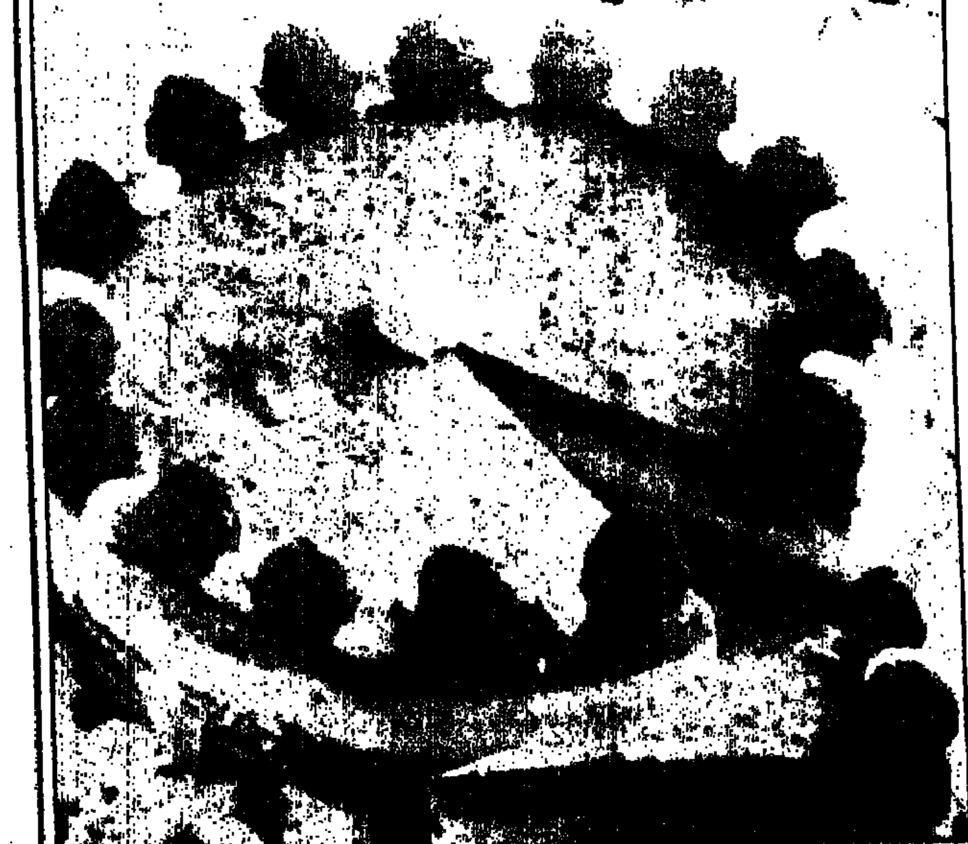
* عندما يبلغ الطفل عامه الأول، تصبح هناك حاجة لتنظيم وقت نومه.. وهناك بعض الأمور الأساسية التي قد تساعدك في تحقيق ذلك:

* بعد الاستحمام، ضعي له «حفاضا جديدا» ثم اغسلي له اسنانه واصطحبيه برافقة والده الى سريره فهذا يهيء الطفل انه حان موعد النوم. كما ان وجود الأب مهم جدا لانه يزيد من ثقته بنفسه في المستقبل لمشاركتكما معا في تربيته والتجاوب معه بحساسية وعطف.

واذا استيقظ الطفل او بكى في منتصف الليل، انتظري دقيقة او دقيقتين ثم اذهبي اليه، لكن لا تضيئي النور او تأخذيه من السرير. تكلمي معه بهدوء، وطمئنيه انك بجواره، اذا احتاج اليك، لكن ذكريه بان هذا موعد النوم. ثم اخرجي من الغرفة حتى لو كان ما زال مستيقظا. اذا بكى مرة اخرى انتظري وقتا اكبر ثم عودي اليه كما جرى في المرة السابقة وفي كل مرة انتظري وقتا اكثر واكثر حتى يتعود الطفل على النوم بمفرده.

خفيفة.. سريعة.. ولذيذة

كعكة التوت بالفستق والجبن

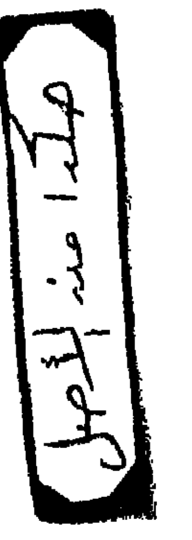


* المقادير:

* ربع كيلو جبن بدون ملح (خاصة للكعك)
* نصف كيلو توت
* كيلو سكر ناعم للكعك
* علبتان جلي بطعم التوت
* كوب كريمة طازجة
* ١ ملعقة فستق

* الطريقة:

* ضعي الماء في اناء حسب التعليمات في علبة الجلي، وبعد الغليان يضاف السكر والجلي البودرة.
* تخفق الجبنة ويضاف اليها الفستق المفروم (قطع متوسطة).
* تخفق الكريمة ويهرس التوت بالخلاطة مع الاحتفاظ بكمية صحيحة للوجه.
* تضاف الكريمة والتوت الى خليط الجلي وتقلب ثم يصب نصفها في قالب مستدير مبلل بالماء ويوضع بالثلاجة حتى يتماسك.
* تضاف الجبنة المهروسة على الجلي في القالب ثم بقية الجلي ويوضع في الثلاجة. ثم يجمل الوجه بحبات من التوت والكريمة.



هالو.. «الاتحاد»؟!

مال اليّ رفيق السفر عندما نهضت بنا الطائرة من مطار اللد وقال: يا ريت هَ الطيارة اللي حملتنا وعلّت للفوق ما تحمل معنا همومنا! قلت له: اطمئن! هاي الطيارة ما بتقدر تحمل همومنا، يمكن بتقدر تحملها بسّ طيارة جمبو! ولما ارتفعت بنا واخذت مسارها على ارتفاع عشرة كيلومترات، وبسرعة ..٩ كيلومتر، انطلقتْ دغري وعلى الخط المستقيم الى... استانبول.

وعندما اخذت الطائرة تهزهز بنا جرّاء مطبٍّ هوائي خفيف، قال رفيق ثان: يا حامي البيت تحمي هَ الطيارة واللي راكبين فيها! فقال ثالث: اتكل عَ الله! وخليها على عاتق ابو طعّان، والتكنولوجيا اليابانية الحديثة!! وقال رابع: اذا وقعت الواقعة، ليس لوقعتها كاذبة..

كان الوقت مساء، وكانت الغيوم الكثيفة تحتنا تحجب عنّا رؤية سطح الارض، وهكذا حُرمنا من متعة النظر الى ما ابدعه الانسان من زرع سطح الكرة الارضية باللامبات الكهربائية.. وبعد ساعتين من الاقلاع هبطنا في مطار استانبول، وفي طريقنا الى اوتيل «ديديمان» في القسم الاوروبي منها، كنا نرى مآذن المساجد، واستانبول ام الف مسجد جامع ويزيد.. وعندما قال احدهم غدا سنجتاز البوسفور، وعند نقطة منتصف الجسر سأقف واضع رجلا في الشرق ورجلا اخرى في الغرب.. سمعت من يقول له: صحتين يا خوي! وهيك بتدعس على رقبة الشرق والغرب مرة واحدة، وفي لحظة واحدة، وضحكت وضحك معي رفيقي.

* قالت العشبة الخضراء *

وكان لمضيق البوسفور في الغد حديث خرافة على لسان الشحرورة، المرشدة الفرفورة، الانسة «تشيمان»، وهي العشبة الخضراء، قالت: هادا مضيق بوسفوروس، اسمو جاي من اسطورة يونانية، وهي انو الاله زيوس/جوبيتر/ كان يحب الحلوات كثير وكان قلبو دوم ميال الهن، وكانت مرتو الالهة هيرا/يونونة/ بتغار عليه جنون، وكانت تتخانق معو، ووين ما يروح تبعث وراه اله ارغوس ابو مية عين على شان يتجسس عليه، وهادا ارغوس ابو مية عين كان اذا نامت عيونو كلها كانت تبقى عين واحدة سهرانة، ولما عرف زيوس بهالشي راح عند الاله پان ابو الموسيقى، وكان عازف فلوت (ناي) مشهور، وصار يعزف انغاما ناعمة جدا على شان الاله ابو مية عين ينام، ولما نامت عيون هادا الاله راح زيوس واختلى بحبيبتو، وهي لفتاة جميلة جدا.. ولما دريت هيرا بالخبر اجت ومسخت البنت البشرية الحلوة بقرة زغيّورة شو بتقولوا لها انتو؟! قلت لها: منقللها «عجلة شوليّة».. قالت: ايوه بالزبط عجلة شوليّة، وانتو بتعرفوا انو في حشرة زغيرة بتلسع بقرة.. قلت: ليقوبة.. قالت: ايوه كيكوبة.. بتلسع بقرة، والبقرة بتصير تركض، وهيك لما ركضت «البنت البقرة» وفاتت في مضيق البحر صار اسمو بوسفوروس!! اللي معناه «معبر البقرة»!!

* جزيرة الامراء *

بعدزيارة الروملي حصار «قلعة الروح» في الجزء الغربي من استانبول قمنا برحلة بمركب الى ملتقى البحر الاسود ببحر مرمرة، وكان لا بد ان نعرّج على جزيرة الامراء، وهي جزيرة سياحية محرّمة على السيارات ومحللة على الحناطير، وكل عربجي جاهز.. چال بوريا چال! الندم.. قاردش!! وتركب معه، ويأخذ يلفّ ويدور في شوارع الجزيرة.. انت تريد شمّة الهوى، وهو يريد الدولارات، وتلتقي المصلحتان، ولكن لا بد من مماحكة على السعر حين الدفع.. واما الانكى من المماحكة فهو ضياع احد افراد مجموعتنا (المؤلفة من ٤٥ نفرا) في الجزيرة، وانتظرناه في الزمان والمكان المحددين، ولكن دون جدوى.. واقترب المركب من الرصيف، وصعدناه فتحرك، وهو يطلق صفارته.

وقالت العشبة الخضراء: اسمعوا يا جماعة! كل واحد منكو بتأخر عن الموعد لازم يدفع غرامة.. بقدّم شراب لكل المجموعة قهوة.. شاي.. كولا.. وهكذا انضبط الجميع تقريبا!!

* سوق محمود باشا *

للسوق المصري في استانبول الغربية جاذبية قوية بسبب مسحته الشرقية البحتة، وسوق محمود باشا تشعر فيه وكأنك في سوق شعبي من اسواق القاهرة، ولكن يظل للمعالم الاثرية في استانبول الجاذبية الاقوى، وهذه وان كنا زرناها على السريع، ولكن ستظل شوفتها في رؤوسنا.. قصر دولما بخشي، وقصر تشيران، والمسجد الازرق، ومسجد كنيسة آيا صوفيا، ومتحف طوب قباي وهو «باب المدفع»، والهيدروم (ميدان الخيل)، ثم الجامع الاخضر في مدينة بورصا.

* تمثال الغازي مصطفى كمال *

تبرز في القصور العثمانية فخامة، وكذلك في المساجد، ويظهر الفن الاسلامي عليهما في كماله وجلاله، ولكن جدران تلك القصور عارية بالنسبة الى جدران القصور الملكية والاقطاعية في اوروبا، ربما جرّدت من لوحاتها وزينتها! من يدري؟ واذا وجدت لوحات فنية فهي صور لطبيعة ساكنة، مناظر طبيعية، خلجان، سفن في موانئ، حدائق، طيور، ونوافير، وهناك صور لمعارك، وعلى العموم فان اللوحات تنقصها الحركة القصصية، او الدرامية، او الشاعرية والفكرية، والسبب على ما اعتقد هو تنكر العقلية الاسلامية للاسطورة لما لها من علاقة بالوثنية، ثم للتجسيم لما له من تذكير بالاصنام والفرانيق! ولان الفن الاسلامي في عمومه لم يذهب الى الاسطورة فقد ذهب الى الزخرفة المركبة في الاشكال الهندسية والمشجرات ورغب في الخطوط ورسم الآيات القرآنية والاشعار.. ولكن كما سبقت الاشارة فان الضخامة المعمارية شديدة البروز في الآثار العثمانية وكيف لا؟ وكانت تركيا تركيا على سنّ ورمح، وكان السلطان العثماني يلقب بسلطان البرّين والبحرين، والشاهنشاه، والخاقان بن الخاقان!!

وبالرغم من ان الفن الاسلامي لم يحفل بالصور والتماثيل المجسمة، فان تمثال مصطفى كمال اتاتورك يقوم هنا وهناك في كافة المدن التركية، وبشكل تظاهري، باعتبار انه عظيم القوم، وانه ابو تركيا الحديثة التي ادارت ظهرها للشرق، ووجهت انظارها صوب الغرب.

* حفلات موسيقية واوبرا *

كان السؤال يلحّ بي عن قاعات الحفلات الموسيقية، وعروض الاوبرا، والباليه.. لفّ بي سائق التاكسي (بعد ان فهم ما اريد بالجهد الجهيد) كل دور العرض والمراكز الثقافية، حتى وصل الى دار عرض فقيل له: ان العرض سيكون بعد اربعة ايام.. ولم يخدمني الشنص لان مجموعتنا ستغادر استانبول بعد يومين اثنين.. وفي مطلع اليوم الثالث سافرنا الى مدينة «بورصا»، ثم «ازمير»، ثم «كرشاضاصي»، وكانت رحلتنا في البر جميلة، فالفصل ربيع والطقس معتدل المزاج، والخضرة تكسو السهول والجبال، وكانت هناك قمم ثلجية، وتناغمت الالوان البهيجة ما بين غيوم داكنة وبيضاء، وجوانب من السماء زرقاء، وسفوح ومروج خضراء.. وصادفت ان تركيا تحتفل في ٤/٢٣ بعيد الطفل التركي الذي استنّه الغازي مصطفى كمال، ولذا كانت معالم الزينة تكسو المدارس والمؤسسات التربوية، والمصانع والمباني الحكومية وغيرها، وكان العلم التركي يرفرف بلونه الاحمر، وهلاله ونجمته الابيضين في كل مكان.

* مصانع القطن والجلود *

تحرص وزارة السياحة التركية على الطلب الى مرشدي السياح ان يتوجهوا بسواحهم الى معارض الصناعات الجلدية والقطنية، وكان الحماس يشد مجموعتنا الى الشراء، ولكن لا يلبث الحرص على الدولار ان يردعنا، لان المجموعة في معظمها معلمون وموظفون من ذوي الدخل المحدود، ولكن للضرورة احكاما، فكان لا بد من الشراء، وبعد كل شروة كنا لا نعدم سماع شكوى من الاسعار، فهذا احدهم وهو من مجموعة هضبة الجولان لم تنقصه خفة الدم مال اليّ وقال: اشتريت جاكيت جلد، واكلت «صْوِيب صْوِيب»!.. فكرت ان الصويب اكلة معينة، ولما سألته عن معنى «صويب» قال: خازوق.. ضحكت.. وتوالت الصويبات والشكاوى منها، ولتخفيف وجعها كانت هناك ضرورة في النكتة او الاغنية، ولما فُتح باب التنكيت انهالت النكات من مايكرفون الباص، وكان ضحك طويل على طول الطريق من استانبول، الى بورصا، الى ازمير، الى كوشاضاسي.. وكانْ «وفيق» وهو من قرية عسفيا الكرملية نجم التنكيت، ولم يتورّع عن ان ينكّت على حاله.

* ازاي عجبتها؟! *

قال وفيق: كنت مرة مع مرتي في القاهرة، تجوّلنا في الاسواق، ودرنا ولفّينا على الدكاكين، ومرتي بدها فستان، وظلينا نلف وندور حتى زهق شوفير التاكسي المرافق، وفطعة هيك انفجر وقللي: دي مراتك ما عجبها بكل مصر ولا حاجة، ازاي بقا انت عجبتها؟! تجمّلت النكتة، ونظرت الى قصَري، وضحكت وقلت: دَنا قسمتها.. وبعد طول صبر شافت مرتي فستان معروض في فترينا، اوقفت الشوفير وقالت: هاذا فستان حلو بدّي اياه! وفعلا دخلنا الدكان، وقدّرت مرتي الفستان، قلتلها: كيف؟ قالت: برلجي قلت: الحمد لله.. ولكن لما طوى صاحب الدكان الفستان ولفّه بالورق، طلع مكتوب عَ الورق «محلات وفيق»!! ولما شاف الشوفير الورق قللي: الله ما عجب مرتك في كل مصر الا وفيق!! قلت له: فعلا ما بعجب مرتي الا وفيق، واشرت بايدي على حالي، فقال الشوفير، وهو يضرب بيديه على ركبتيه: دا انت وفيق برضو؟! ايه الصدفة الحلوة دي؟! قلت له: لا صدفة ولا حاجة، انا وفيق ومرتي ما بعجبها الا وفيق.. وضحكت المجموعة للصدفة العميا التي جاءت مستهدية، والتي خلّصت المصري من ورطته، وردّت الاعتبار الى وفيق صاحبنا!!

* تركيا اليونانية والبيزنطيّة *

لتركيا تاريخ يوناني وروماني بيزنطي حافل، والمدن الاثرية في تركيا كثيرة، وهي تنقلك الى جو اخر ونكهة اخرى، فانت في مدينة «افيسوس» تقف مشدوها امام الحضارة اليونانية ووريثتها الرومانية، وانت لا شك تتذكر اسم هذه المدينة (التي تقع على الشاطئ الغربي من تركيا) من خلال رسالة بولس الرسول الى اهل افيسوس.. ولما تنبّهت الحكومة التركية حديثا الى مكانة هذه المدينة الحضارية، واهميتها التاريخية عمدت الى وضعها في سلم الاوليات السياحية، فتراها رمّمت ما يُسمى «بيت ستّنا مريم»، وبما ان لستنا مريم العذراء مكانة عليّة لدى المسلمين بشهادة القرآن الكريم، وكذلك لدى الطوائف المسيحية، فقد امسكت وبقبضة يد واحدة عصفورين اثنين في العش، فجعلت من بيت ستنا مريم مزارا للمسلمين والمسيحيين على السواء، كما احاطت الحكايات الموروثة عن عين ماء العذراء هناك بهالة من التقديس، وان العين بركة، ومن يشرب من مائها المقدس، ويدعو الله فدعاؤه يُستجاب، وقد شربت انا نفسي منه، ودعوت كما يدعو سائر الناس، ولكن الدعاء لم يكن بالنسبة لي شخصيا، وقد قلت بعد ان شربت منها، ومسحت وجهي بالرحمن ما يلي:

اللهمّ يا منّان يا رحمن، ادعوك بجاه ستنا مريم عليها السلام ان تُلهم بلدية الناصرة رئيسا واعضاء ان يعيدوا عين العذراء التي في الناصرة الى سالف عهدها ومجدها، وان تجري مياهُها كما كانت تجري، لتجتذب الرائح والغادي، وتنقع غلة الظمآن الصادي اللهم آمين يا ربّ العالمين!!

(الطاليا في ٢٤ نيسان ١٩٩٥)

لقاء في ظل السنديانة:

خمسة عقود في خدمة الطبقة العاملة

* سهيل نصار: يكفي «الاتحاد» فخرا دخولها يوميا لكل بيت مناضل *

* اعداد: عفيف سالم *

* الالتقاء بأي رفيق من الرفاق الشيوعيين القدامى هو اقرب ما يكون الى الاستظلال في فيء سنديانة، عميقة الجذور قوية الجذع وارفة الظلال متعددة الاغصان. فمياه نهر التاريخ واحداثه وما تفرزه من المواقف الوطنية والطبقية تمدها بالغذاء. ونبض التاريخ لا يتوقف. فهو دائم الحركة. والاستظلال بفيء السنديانة يعني النبش في ذاكرة هؤلاء الرفاق لمعرفة البدايات.. سواء على الصعيد العام ام على الصعيد الخاص. والبدايات لها طعم خاص، خاصة اذا ما كانت قادرة على الربط بين الاجيال. فمعرفة البدايات تعين الجيل الشاب على فهم الحاضر وتساعده في بحثه لاستشفاف المستقبل.. فاذا ما رغب الجيل الشاب في فهم ذاته ومواقفه فعليه ان يتعرف حتى النخاع على الجيل الذي سبقه. لان ذاك الجيل ساهم بهذه الصورة او تلك في بلورة شخصيته هو.. وهذه هي حركة التاريخ وديمومتها.



●صورة تاريخية لقيادة فرع العصبة في الناصرة ويظهر سهيل نصار الاول من اليمين (واقفا) ●

سهيل شفيق نصار (ابو نادر) كان احد اوائل من شهد بدايات الحركة الشيوعية في مدينة الناصرة. المدينة التي ولد فيها قبل سبعين عاما. وعمل والده في ذلك الحين سكرتيرا للمدارس الروسية في سورية ولبنان. وبعد انهيار النظام القيصري الروسي في العام ١٩١٧ عمل في التجارة. اذ كان يضمن «حسبة الخضار» في المدينة. وكان والده شاعرا ووطنيا معروفا. يقول ابو نادر: اذكر مرة ان شارك والدي الى جانب المرحوم الشيخ طاهر الطبري في احتفال بالمولد النبوي الشريف. والقى قصيدة مطلعها:

حيّ العروبة، بل حيّ معاليها وحيّ ذاك النبي نبع الهدى فيها

واختتمها بقوله:

مصر تناصركم سوريا تؤازركم ثكلى تصيح الوغى. هبوا اغيثوها

ويضيف ابو نادر: احتفالات ابناء شعبنا في الناصرة كانت دائما موحدة وطعمها دوما كان وطنيا ومجندا.

* البدايات *

قلت: حدثنا عن البدايات.. فلا شك ان لها طعما خاصا..

اثناء الحرب العالمية الثانية واجهت وضعا اقتصاديا صعبا. وكنت في الصف الحادي عشر. الا ان العائلة كانت بحاجة لمن يعمل. فعملت في مخزن لدائرة الاشغال العامة، وذلك في العام ١٩٤٣ ومن ثم في معامل تكرير البترول (الرفينري) اذكر انه في ذلك اليوم لم يكن في جيبي الا مبلغ، هو اجرة السفر باتجاه واحد. وفي الباص تعرفت على صديق ماركسي هو رضوان جرجورة (ابو الياس). وعلم بالوضع فاعطاني تذكرته لاعود بها الى البيت. في حينه كانت «شركة العفيفي» تصدر تذكرة شهرية يسدد ثمنها في نهاية الشهر.. وحصلت على تلك التذكرة في اليوم التالي. اذكر ايضا، انه بعد فترة صدر العدد الاول من جريدة «الاتحاد» وكان سعرها قرشين. قرأتها. ومنها تعرفت على الكثير من الاصطلاحات والمفاهيم. مثلا ان الهدف من كفاح الطبقة العاملة الاساس هو الغاء الاستغلال، استغلال الانسان لاخيه الانسان.

وكان مؤتمر العمال العرب في تلك الفترة ينظم محاضرات توعية. وفي احدى المرات حاضر الاستاذ اميل توما،. كانت محاضرته عبارة عن دعوة لوحدة الصف. ثالث يوم بعد المحاضرة عرض رضوان جرجورة علي توزيع الجريدة ودفع الاشتراكات للاخ منعم جرجورة. وبقيت في حينه على هذا الحال.

اما اول اجتماع لاول ايار حضرته فكان في العام ١٩٤٤ وتحدث فيه نصر عودة. بعدها بدأت بالتقرب الى العمال الواعين في الرفينري، التي كنت اعمل فيها. ودعينا نحن العمال الى درج الموازنة لانتخاب لجنة نقابية. وحظيت بعضوية هذه اللجنة. اميل توما كان في اغلب الاحيان موجودا في درج الموازنة. واذكر ان الاضراب العمالي، الذي اعلنه عمال الرفينري، حقق مكاسب هامة..

اذكر، ايضا، انه في العام ١٩٤٥، واثناء وجودي في مقر المؤتمر، تسلمت رسالة وقعها اميل حبيبي جاء فيها انه اقيمت في حيفا منظمة اسمها «عصبة التحرر الوطني». ودعا في الرسالة الى اقامة فرع للعصبة في الناصرة. وانتسبت انا ومنعم جرجورة الى العصبة وبالتزكية المتبادلة.

قلت: اين موقع «الاتحاد» في هذه البدايات.

وقال ابو نادر: صدرت «الاتحاد»، منذ العام ١٩٤٤، اسبوعيا، في يوم الجمعة. واول من وزعها في حينه وحتى دخول الجيش الاسرائيلي الى المدينة، ثلاثة هم نقولا ورور وجوزيف عبده وسهيل نصار. هذا الامر اوجد فيما بعد حلقة لعصبة التحرر الوطني. وتلقت هذه الحلقة دراستها الماركسية على يدي ابن بيت لحم البار انطون السقا (ابو نادر). ومن هنا اطلقت اسم نادر على ولدي فيما بعد.

وكان من اوائل اعضاء العصبة في الناصرة الرفاق: شفيق بشارة، جوزيف عبده، سهيل نصار، منعم جرجورة، خليل خوري، يوسف خطيب، حسين ابو اسعد، خليل الراشد، نظمات حلاق، صليبا خميس، يوسف صباغ، صبحي سروجي، نقولا ورور وسليم خليف وجريس ابو العسل.. وكان عدد اعضاء العصبة يتزايد باستمرار. ولهذا طالبنا نحن الثلاثة، موزعي «الاتحاد» الدائمين، باشتراك الجميع في توزيع الجريدة. وفي احد الايام انتظرنا في «النادي الادبي».. وفجأة دخل فؤاد نصار عضو قيادة الفرع.. ويبدو انه شك بأننا لن نوزع الجريدة.. وبعد حديث قصير اضطررنا الى توزيعها.. الا ان الامر المهم هو انه بعد اسبوع حضر عدد كبير من اعضاء العصبة وشارك في توزيع جريدة «الاتحاد».. في السنوات ٤٥، ٤٦، ٤٧ كان عدد سكان الناصرة عشرة الاف نسمة، وصل توزيع «الاتحاد» الى ٤٠٠ نسخة اسبوعيا. وذلك حتى صدور قرار التقسيم.

سألت: هل كانت هناك مؤسسات اخرى عاملة الى جانب العصبة؟!

ويجيب ابو نادر: عملت الى جانب فرع العصبة مؤسسات اخرى وطنية منها «نادي النهضة الناصري» وسكرتيره كان ميشيل نصار. وكان احد اعضائه البارزين ابراهيم بكر، الذي ساد في حينه «رابطة المثقفين العرب».. كان توجيه فؤاد نصار في حينه يشير الى ضرورة مثل هذه المؤسسات ليتمكن رفاق العصبة والمقربون منها من النشاط بحرية وبدون ملاحقة شرطة الانتداب. وكل هذه المؤسسات عملت بأساليب مختلفة على نشر الفكر الواحد.. ونجحنا في ذلك..

قلت: وضعت قرار التقسيم كحد لمرحلة جديدة لماذا؟!

واجاب سهيل نصار بصوته المعهود: وصل عددنا الى ٢٥ رفيقا حتى قرار التقسيم وكنا نوزع ٤٠٠ عدد من «الاتحاد». وحين صدر قرار التقسيم عقد «كونفرس»، اي مؤتمر مصغر، في الناصرة. فرع الناصرة كان مع قرار التقسيم، الا ان عددا من الرفاق ترك العصبة.. ولم يبق الا القليل. من فرع عكا حضر الرفيق بشارة عبود، الذي ايد التقسيم. في حين ان فرع عكا كفرع لم يحضر.. اضافة الى ان اميل توما كان معارضا لهذا القرار.

الاجواء العامة كانت معادية لقرار التقسيم هذا ما لمسناه واحسسنا به حين وزعنا جريدة «الاتحاد». فقد اسمعونا اهانات مثل «يا خون» «يا عملاء الصهاينة» حتى ان بعض الفوغائيين مزق الجريدة من يدي في قهوة العين.. ثم جاء بيان الاحزاب الشيوعية في الشرق الاوسط حول القبول بقرار التقسيم. ووزعناه في كل مكان. وتقرر في حينه ايصال هذا البيان الى مجدل عسقلان والى رام الله. فقمت بنقله الى مجدل عسقلان، في حين قام الرفيق نظمات حلاق بنقله الى رام الله، حيث القي القبض عليه هناك.. الا انه تمت اعادته فيما بعد الى الناصرة.

* المعارك الاولى في المرحلة الجديدة *

- كيف كان الوضع بعد احتلال الناصرة؟!

- كانت البطالة منتشرة بصورة كبيرة. والحاكم العسكري يقتر باصدار التصاريح. وحسب قرار العصبة اشترحت في المؤتمر التظاهر ضد البطالة وللمطالبة بالعمل. وفعلا جرت المظاهرة العمالية الاولى، بعد مظاهرة النساء ضد ترحيل اهالي الحي الشرقي. وقد اضطر الحكام العسكريون، في حينه، الى تأمين اماكن عمل في اللد والرملة وفي دائرة الشؤون الاجتماعية.

كذلك خضنا في تلك الفترة معركة لتحصيل المكافآت والتعويضات لعمال الريفينري وبمساعدة المحامي حنا نقارة تمكنا من ذلك.

ويتابع سهيل نصار: في تلك الفترة كانت قد انتقلت طباعة «الاتحاد» من يافا الى حيفا. وكانت التصاريح للتنقل شحيحة. الا اني حصلت على التصريح وكنت اقوم بنقل الجريدة من حيفا الى العفولة، وعند تل العدس اتوجه الى الناصرة، حيث كانت سيارة واحدة تعمل على هذا المسار. واذكر اني تعلمت الطباعة في الجريدة لاتمكن من توفير الكمية لضمان ايصالها في وقت مبكر. واحترفت العمل في «الاتحاد» ليس، فقط، كموزع لها، بل كمحاسب ايضا. كنا نزور الفروع مرة واحدة في الشهر، وذلك سيرا على الاقدام. وكان وضع عمال المطبعة سيئا جدا اذ لم يتمكنوا من الحصول على رواتبهم الا بعد جمع الاموال من الفروع. وواصلت اشغال هذه المهمة حتى العام ١٩٦٧. اضافة الى هذه المهمة شغلت مناصب حزبية اذ كنت عضو سكرتارية فرع الحزب، وعضو لجنة المراقبة في المنطقة. وفي المؤتمر الـ ١٥ انتخبت عضوا في لجنة المراقبة المركزية بترشيح من المندوبين في المؤتمر.

قضية اخرى ترتبط بالعام ١٩٦٧. اذ تحقق حلم لي. فقد تقرر ان اشارك برفقة بنينا فاينهاوس في احتفالات مرور خمسين عاما على ثورة اكتوبر الاشتراكية. وحطت قدمي على ارض مدينة لينينغراد، حيث انعقد مؤتمر السلام العالمي. كذلك حضرت اجتماعا مفتوحا للجنة المركزية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي. وكان مدعوا لهذا الاجتماع الرفيق فؤاد نصار. وكان لقاؤنا لاول مرة منذ العام ١٩٤٧. بقينا معا حتى الصباح ولم يترك احدا الا وسأل عنه واستفسر عن اوضاعه..

* الوضع الراهن *

- لننتقل الى الوضع الحالي فكيف ترى «الاتحاد» اليوم؟!

- تطور «الاتحاد» هو حلم كبير تحقق. ويكفيها فخرا انها تصدر يوميا وتدخل كل بيت مناضل من اجل حياة افضل.

- وماذا عن النواقص في نشاط الحزب؟!

- لا ارى مآخذ في مواقف الحزب السياسية. المأخذ هو على قيادة الحزب التي لا تحافظ على علاقة دائمة بالقاعدة من خلال الاهتمام بقضايا الرفيق الشخصية ووضعه الاجتماعي. وكذلك عدم قيامها بأي عمل ملموس تجاه الرفاق، الذين ابتعدوا عن الحزب في اعقاب انهيار الاتحاد السوفييتي او لاسباب اخرى. ولأكن واضحا هنا. اني اكن الاحترام للرفاق الذين ناضلوا في صفوف الحزب. وما دام هؤلاء، من الذين خرجوا، يلمسون بدورهم الشريف فلا مأخذ عليهم. اما من اتخذ مواقف معادية فهم معادون.

الا ان لدي قناعة بان قسما من الرفاق المشلولين او الذين يعتبرون

(البقية ص١٦)

سحماتا بين الألم والامل

(تتمة من ص٤)

الى الارض لا تؤثر على احد.

* مستعد للسكن في مغارة في سحماتا *

في كل بيت من بيوت اهالي سحماتا، حيث يقيمون اليوم، في حيفا والبقيعة والمزرعة وفسوطة وترشيحا وغيرها، ترى على عتبات الشبابيك وفي الغرف، حجارة من سحماتا. او حفنات من التراب. واسعد كامل سمعان (ابو عادل) انسان من سحماتا وله ذكريات فيها. كان اعزب عندما حرقوا سحماتا. والتجأ حسب ظروف العمل الى عدة قرى ومن بيت الى بيت. اليوم يسكن وعائلته في حيفا مؤقتا، بانتظار الانتقال الى البيت الجديد الذي يبنيه ويشيده بنفسه مقابل ارض سحماتا. قال: جسدي هنا وروحي هناك في سحماتا تعانق كل شيء فيها. عانيت كثيرا حتى وجدت قطعة ارض في البقيعة قريبة من سحماتا، وقررت البناء قريبا من بلدي الاصلي. ماذا سيقول انسان حرموه من نور عينيه. انني ابقى في ظلام دامس، حتى ارى ارض سحماتا، فأخرج من العتمة الى النور. اراها ولا استطيع الاستقرار فيها او العمل في ارضي. املي بالعودة قوي. ومستعد للسكن في مغارة في سحماتا. وقلت لصاحب الارض التي اشتريتها منه، اذا سمحوا لنا بالعودة الى سحماتا، الارض والدار عليها ملك لك. وقال: تحملت صعوبات كثيرة في الاربعينات زادت من تعلقي بسحماتا فكيف انساها. وترك اسعد وصية، اذا مات لينقلوا عظامه الى سحماتا.

* المجلس الاقليمي يرفض السماح بدفن الموتى في سحماتا *

طلب اهالي سحماتا دفن الموتى في مقبرة القرية. الا ان المجلس الاقليمي «معاليه يوسف» عارض ذلك بشدة، لكي لا تكون العملية سابقة. وفي محاولة لضرب علاقة الاهالي بقريتهم.

* ذهبت للمشاركة في اعمال التنظيف فوجدت شاهد شقيقها ملقى على الشارع *

لبى العشرات من اهالي سحماتا الدعوة للمشاركة كل يوم سبت في اعمال التنظيف وصيانة المقابر وتسييجها. ومنهم نجية سليمان (ام محمد) تسكن اليوم في المزرعة. وفي يوم (٩٥/٤/١٥) توجهت الى ارض سحماتا للمشاركة في العمل، في الطريق ذهلت عندما اصطدمت بشاهد شقيقها ملقى على الشارع. والشاهد كان موجودا في ساحة بيت في معلوت. ويبدو ان السارق الذي كانت محكمته في (٩٥/٤/٢٠) اخذه من بيته ورماه لابعاد الشبهات عنه. التقيناها في بيتها في المزرعة وبدأت تستذكر كيف رحلت من سحماتا: كانت بيوت القرية عرضة للقصف العشوائي. واحترق الكثير منها. وهناك بيوت سقطت جراء القصف على من فيها ومنها دار ابو حسين لضة. عندما وصلنا الى دبل في لبنان، سكنا تحت الزيتون بين السماء والطارق (١١) يوما. لا خيمة ولا ما يحزنون. ومنها الى عين ابل. ومن هناك الى بعلبك. وكنت مخطوبة، طالب عمي والد خطيبي بارجاعي رفضوا، فأخذوا خطيبي الى بعلبك، تزوجنا هناك. وعاد زوجي الى اسرائيل ومن خلال جمع الشمل عدت. وقالت: عاش اهالي سحماتا في الفة ومحبة. وكنا نرفض اي تعصب ديني او عنصرية يوم الاحد كنا نذهب الى الكنيسة للصلاة وفي يوم الجمعة كان المسيحيون يدخلون الى الجامع.

وعن قضية الشاهد قالت: قتل شقيقي احمد اسعد سعيد عثمان في حادث طرق في عام (١٩٤٢). ودهسته يومها سيارة عسكرية. ودفن في سحماتا. قبل ثلاثة سنوات زرنا القبر كان الشاهد بحاجة الى تنقفة باطون ليثبت مكانه. وبعد فترة ذهبنا لتثبيته فلم نجده. وبدأنا نسمع عن سرقة شواهد. وقدمنا الشكاوى.

وقالت: كل من يأتي من لبنان لزيارة اقاربه يذهب الى سحماتا، ويأخذ معه من ترابها لاهلها المشردين، الذين لا بد سيعودون، وسيعودون.

* محاميد: لا يجوز ان يكون الانسان لاجئا في وطنه *

النائب الجبهوي هاشم محاميد يتابع قضية سحماتا مع اهاليها. يقول: لو لم تهدم سحماتا، لكان عدد سكانها اليوم (١٦) الف نسمة. ولا يجوز بأي شكل من الاشكال ان يظل المواطنون العرب لاجئين في وطنهم. ويجب اعادتهم الى قراهم المهدومة، ليس على حساب الكيبوتسات القائمة. انما الى حيث ممكن. فهناك عشرات القرى فيها آلاف الدونمات غير المستغلة، او المغروسة بالزيتون المهجور، يمنع اصحابه من قطفه.

وقال محاميد انه لا يريد زرع الاوهام او نثر الوعود، الا انه سيبادر من اجل السماح لاهالي سحماتا وغيرهم بتنظيف المقابر وصيانتها وتسييجها. وفي سحماتا كنيسة، بحاجة الى ترميم، هناك امكانية باستصدار تصريح من السلطات لترميمها وصيانتها.

وشارك محاميد اهالي سحماتا في زيارتهم للقرية. وقال: كان منظرا رائعا ان ترى تشابك وتعاون ايدي المسلمين والمسيحيين في تنظيف وترميم المقبرة الاسلامية.

وقال: انا انسان واقعي، لقد بدأنا بقضية اقرث وكفربرعم ونجحنا كجبهة في تمرير مشروع قانون بالقراءة التمهيدية، لاعادة اهالي القريتين. حتى الان لم ننجح في اعادة طفل اليهما، لاننا نتعامل مع سلطة معروفة ومنغلقة. ويجب ان تكون المعركة خطوة خطوة، وبعودة اهالي اقرث وكفربرعم، نكون قد وضعنا اللبنة الاولى لاعادة الآخرين.

وحول الجديد في قضية اقرث وكفربرعم قال: حتى الان لا يوجد اي جديد. وفي اخر اتصال مع رئيس الحكومة يتسحاق رابين ووزير القضاء دافيد ليبائي قالا انهما لا يزالان يدرسان القضية. وبعد عودة الكنيست من عطلتها، لنا جلسة مع رابين حول القضية. وسنواصل الضغط لتمرير القانون بالقراءات الثلاث.

هل يستوعبون العبرة؟

(تتمة من ص ٩)

ويعملون في فرنسا كسبب مركزي لتفشي البطالة والجريمة. كما ان انقسام قوى اليسار في فرنسا ساعد في رواج السمسرة الديماغوغية وزيادة قوة التجمعات اليمينية الفاشية والعنصرية.

وفي بلادنا تمتص قوى اليمين والعنصرية غذاءها وتبني دعايتها الديماغوغية كبديل لاستلام السلطة من مستنقع الموقف السلطوي غير الواقعي في مواجهة وحل القضايا المركزية حلا جذريا، وخاصة فيما يتعلق بالتسوية السلمية للقضية الفلسطينية والصراع الاسرائيلي – العربي وبناء القواعد الراسخة للامن والاستقرار والسلام في المنطقة. فايصال حكومة رابين عربة اوسلو الى الطريق المسدود ومحاولة تحويل السلطة الوطنية الفلسطينية في غزة واريحا الى شرطة حراسة لحماية الوجود الاحتلالي والاستيطان واشهار سلاح التجويع والحصار الاقتصادي على الشعب الفلسطيني ومواصلة تكثيف الاستيطان الكولونيالي، قد ادى ليس الى اليأس من نوايا الحكومة في بناء جسور السلام العادل مع الشعب الفلسطيني والاعتراف بحقوقه المشروعة، بل ادى كذلك الى تصاعد قوة اليمين والعنصرية الفاشية في اسرائيل والى زيادة قوة «حماس» و«الجهاد الاسلامي». كما ادى الى نسف قواعد الامن والاستقرار الجماعي والشخصي في المناطق المحتلة وفي اسرائيل. وعلى هذه الخلفية تطرح قوى اليمين والفاشية العنصرية في اسرائيل من الليكود وحتى موليدت برنامجها البديل المبني على الشوفينية القومية والتوسع الكولونيالي والطرد الجماعي للعرب في اطار «ارض اسرائيل الكبرى» وتحت يافطة ضمان الامن الشخصي الاسرائيلي في ظل «حكومة قوية»!!

انا تأتأة الحكومة واليسار الصهيوني وعدم اتخاذ موقف عقلاني عادل لبناء قواعد السلام العادل مع الشعب الفلسطيني المستند الى قرارات الشرعية الدولية، يمهد الطريق لعودة قوى اليمين والتطرف والفاشية – العنصرية الى السلطة. فبناء اسس الاستقرار والامن ينسف قواعد الديماغوغية اليمينية المتطرفة. وبدون تغيير جذري في الموقف والتوجه نحو الحل العادل للحق الفلسطيني المشروع فلا امن ولا استقرار، بل فتح النوافذ لعبور زئيفي ورفائيل ايتان ونتنياهو وفلولهم اليمينية الى كراسي السلطة والتحضير لكوارث مأساوية مقبلة. وقوى اليسار الصهيوني الاساسية المدجنة في السلطة – ميرتس – التي لم تنبس بكلمة في مواجهة تصريحات زئيفي وغيره بعد العمليتين المغامرتين في القسم المحتل من قطاع غزة، بانه لمواجهة الارهاب يجب ترحيل الشعب الفلسطيني من قطاع غزة، لسكوتها يشد من ازر العربدة الفاشية – العنصرية ويهدد مستقبلا «ميرتس» ومجمل الحياة الدمقراطية في اسرائيل نفسها. ويبقى السؤال، هل يستوعب حزب «العمل» و«ميرتس» وغيرهما العبرة من تصاعد قوة اليمين المغامر والعنصري في فرنسا؟؟

خمسة عقود في خدمة الطبقة العاملة

(تتمة من ص ١٥)

مخلصين لشعبهم لم تبذل قيادة الحزب اي مجهود خاص من اجل تفعيلهم او اعادتهم الى الحزب. وهذه قناعة لا اتنازل عنها.

– نحن نقترب من الاول من ايار. اذكر الاهازيج القديمة في هذا اليوم فمن ابن جاءت؟!

– كنت انا والرفيق اميل حبيبي نهتم بهذه الاهازيج. ونأخذها في الاساس من الاشعار النضالية في تلك الفترة. او من الموروث الشعري. فمثلا حين حلق غاغارين في الفضاء الكوني هتفنا:

مرحى مرحى غاغارين في السفينة الكونية
راية حزبك يا لينين حول الكرة الارضية

وكنت شخصيا اصر على قراءة قصيدة ابو سلمى في بداية كل مظاهرة لاول ايار والتي تقول:

هذي المطارق والمناجل   تحصد الظلأم حصدا
وتحرر الانسان حتى لا   ترى في الكون عبدا

والحقيقة ان الاساليب النضالية، وكذا القضايا قد تغيرت خلال هذه السنوات، الا ان تحقيق الطبقة العاملة للعديد من المكاسب لا يعني التراجع في نضاليتها. فالطبقة العاملة هي صاحبة المصلحة الحقيقية في احداث التغييرات الثورية. الا ان هناك تراجعا في التثقيف الماركسي اللينيني. واعتبر اقفال المكتبة الشعبية خطأ فادحا وخسارة كبيرة. ان هناك مؤلفات ماركسية محلية، في حالة غياب امكانية استيراد مثل هذا الكتاب. اقول كان من واجبنا الحفاظ على المكتبة الشعبية مفتوحة لنشر مؤلفات الكتاب الماركسيين والوطنيين. واقامة علاقات مع دور النشر الدمقراطية في العالم العربي واستيراد مؤلفات تخدم نضالنا ونضال شعبنا الفلسطيني. انا لا اتهم احدا فالمسؤولية جماعية والكل يتحملها.

ثم توجد هناك نواقص في العمل البلدي وفي العمل البرلماني. مثلا، اعتبر اللغة احدى المقومات القومية، ونحن في الناصرة نرى في بعض المواقع اللافتات مكتوبة باللغتين الانجليزية والعبرية. فلماذا!؟ انني اتألم من هذا الامر. كما ان جماهيرنا تشكل ١٨٪ من المواطنين اي ان من حقي الاستماع الى ١٨٪ من خطاب اعضاء الكنيست باللغة العربية، وانا المتحدث عن الاعضاء الذين يمثلونني هناك. هذا حق مكتسب فلماذا اتنازل عنه لا لسبب الا لاني اعرف اللغة العبرية. ثم هناك قانون يجيز للنيابة امكانية تمديد اعتقال اي انسان. وهذا الامر، كما ظهر في قضية الشبان العشرة، هو ادانة قبل الحكم. فلماذا لا يعمل اعضاء الكنيست على تغيير هذا القانون. على اعضاء كتلة الجبهة ان يقوموا بزيارات ميدانية لمعرفة رأي الناس واقتراحاتهم.

حذار من موقف المتفرّج

(تتمة من ص . ١)

تفقد في هذه المرحلة من هيبتها وسطوتها. فقضية التنصت السري في المؤسسة الصحفية وتسارع التحقيقات في اطارها وضمّ اسماء جديدة الى حلقة الخاضعين للتحقيق والمشتبه بهم، تضعضع في عمارة الصحافة وتحدث تصدعات في بنيانها. فاذا ثبت مسلسل الاتهامات الموجهة الى صحيفتي «معريف» و «يديعوت احرونوت» فانهما تكونان قد قطعتا الغصن الذي تقفان عليه! فالمؤسسة الصحفية في البلاد شكّلت شبه سلطة رابعة مارست الرقابة الشعبية على السلطات الثلاث الاخرى، التشريعية والتنفيذية والقضائية. وهي، بوصفها كذلك، عليها ان تظل بمنأى عن اي شائبة قد تشوب نظافة يدها او تمسّكها بأصول الادارة السوية والاستقامة. ومثل هذه الاستقامة والنزاهة والتجرّد اساس الرسالة الصحفية في دعوتها الى ازالة الغبن او احقاق العدل وتطبيق القانون او تطهير الادارة العامة من مسؤولين خالفوا القانون. ولا نزال نذكر للصحافة دورها المركزي في اثارة فضائح والكشف عن قضايا انتهت باستقالة مسؤول حكومي او صاحب منصب في هذه المؤسسة العامة او تلك.

وها هي التحقيقات في قضية التنصت السري تشير الى احتمال تورط الصحافة كمؤسسة في مخالفات قانونية خطيرة تفقدها الشرعية لاداء رسالة اخلاقية لا سيما ان رئيسي تحرير الصحيفتين ضالعان في هذه القضية. والا ما كان صاحب صحيفة «هآرتس»، عاموس شوكن، ليجرؤ على الادعاء بأن «عناصر جنائية سيطرت على صحيفة مركزية في البلاد»، وليس صعبا ان نعرف ان «معريف» هي الصحيفة المقصودة!

وكل قضية كهذه كرة ثلج لا تلبث ان تكتسي طبقة فوق طبقة من اسماء المشتبه بهم ومن التهم والمخالفات، ومهما كان الجُرف الذي ستستقر كرة الثلج فيه، فان حقيقة بدء تدحرجها كافية لضعضعة عمارة الصحافة كمؤسسة اساسية في المجتمع الاسرائيلي. وكانت هذه العمارة اهتزت لدى غياب «عل همشمار» و «حدشوت» و «ششي»، وستهتز إذا ما غابت «دفار».

ان ما حدث للهستدروت وللصحافة، هنا، هو مرحلة في تسارع التحولات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للمجتمع الاسرائيلي. فالتحقيقات المكثفة مثلا (ومحاكمة النائب آريه درعي، ايضا) تبرز استقلالية الشرطة كذراع حكم تنفيذية مكلفة بحماية القانون وتطبيقه. وما كانت هذه الاستقلالية لتتطور لولا دعم غير محدود من الجهاز القضائي ممثلا بالنيابة العامة التي تستمد اقدامها من وجود القاضي اهرون براك في رأس هرم هذا الجهاز الذي يبدو مدعوما بقوى سياسية برلمانية وحكومية وشعبية تسعى علانية الى دولة عصرية علمانية من خلال رفض ما كان حتى الان، تسودها سلطة القانون ولا حصانة فيها لاحد امام القضاء، لا للهستدروت ولا للصحافة ولا للحكومة.. ومن هنا يأتي الحديث عن ثورة قضائية في الدولة بدأت مع اقرار قانون كرامة الانسان وحريته قبل حوالي ثلاثة اعوام، ومن هنا نشاط اطر شعبية مثل الحركة من اجل نزاهة الحكم او من اجل دستور. ومن هنا استقلالية الشرطة ومن هنا الانفتاح النسبي في السياسة الاسرائيلية، ومن هنا، ايضا، هذا الانحسار الواضح والصريح في الاجماع القومي كما عهدناه!

المجتمع الاسرائيلي يبني دولته من جديد، فهل سيكتفي المواطن العربي بموقف المتفرج!

● بقلم: د. ادوار الياس ●

[illegible]

* اطول ايام الاحمق هو اليوم الذي لا يرتكب فيه اية حماقة.
* لا يبوح العاقل بالفكرة التي يمكن استغلالها للشر.
* الغبي المتقدم في السن اغبى من الغبي الصغير، لانه تعلم في مدرسة الحياة.
* من يدفعك لاتخاذ القرار، لحظة الحسم، افضل ممن يجعلك تتردد.
* ليس المهم كم انتظرت، بل ماذا ولماذا انتظرت؟
* المغامرات التجريبية مثيرة للمتعة، على الرغم من احتوائها على عناصر الفشل.
* لا يمل الاهوج من مطاردة ذاته.
* من يلعب بين الارجل تدوسه الكعاب.
* كل مراقب بحاجة الى مراقب ولكن! من يراقب رقيب المراقبين؟
* سلاح الكاتب كلماته لا اقلامه.
* الاعتذارات القذرة مرفوضة.

من أقوال الشعوب!

* يقول الطليان:
– طلع الجوع على رأسه!
* وتقول العرب:
– فار دمه!
* يقول البرتغاليون:
– يحصل المنحوس، دائما، على عصابة العنبرة!
* وتقول العرب:
– للمنحوس بيطلع في كل خرابة عفريت!
* يقول الانجليز:
– يلقي المزيد من القرامي في الموقد!
* وتقول العرب:
– يصب الزيت على النار!
* يقول الاسبان:
– شرير يحمل وجها جميلا!
* وتقول العرب:
– ياما تحت السواهي دواهي!
* يقول الايرلنديون:
– الكؤوس الخمسة تكفي عشرة!
* وتقول العرب:
– بيت الضيق يسع الف صديق!
* يقول الروس:
– داهمه الدب!
* وتقول العرب:
– ركبه القرد!

نشازيات!

* عشية الاول من ايار، وتنفيذا للتعليمات الجبهوية بأن يكون عيد العمال مدفوع الاجر وعطلة رسمية، استدعى مدرب الشبيبة الشيوعية فخري القران (ابو عدنان) مساعده لشؤون المعجّنات، الصبي العصبي «ابو الطلامي المشعوطة»، وعايده بطبق معرّم بالكماج المقمّر والمناقيش بزعتر مع كعك بسمسم وكعك اصفر، وحرّضه على الاشتراك الفعّال في مظاهرات النضال وقال:

– يعود العيد عليك وعلينا وقد حل السلام وفضيت السوق من البطالة.

وعملا بالقول المأثور «نم بكير وقم بكير وشوف الصحة كيف بتصير»، ومن كثرة العجن واللغ وشدة التعب هرول «ابو عدنان» نحو «قلعته» بعد ان احكم اغلاق فرنه، ليتمدد على حصيرة البابير ويغطس في النوم والتشخير وكباية الميرمية بجانب رأسه، وام عدنان تقلي سمك بوري وجناحات دجاج مغلي.

وما ان فركت اول دورية عينيها على صفصافة «النبع الصافي» في اعالي الجليل حتى قامت الهيزعة على الغصون. فنطز البلبل من نومه، مهتزا، وصاح بغضب:

– هدوء.. سكوت..! واقول هذا بكامل المسؤولية والصلاحية!

وبعد ان ساد السكون شرب البلبل من طاسة قطر الندى واطلق الاشارة الاحتفالية، فاستقامت الصفوف وشرعت الاوركسترا العصافيرية بالنشيد:

– «موطني.. موطني..»

ولان نسيم الجبال حمل، على جناحيه، سمفونية «موطني.. موطني..» عبر السهول والبطاح حتى ساحل عكا فز مدرب الشبيبة الشيوعية فخري القران «ابو عدنان» عن حصيرته. وبعد ان تأكد من سلامة مسيرة عقارب ساعته ركض نحو حارة الفاخورة وتسلق سلم الفنار وصرخ بأعلى صوته:

– اول ايار يُحيّي ابناء الكادحين..!

وبما ان رادار اذنيه تحرك على الحارك التقط ردا لا سلكيا:

– وابناء الكادحين يحيّون الاول من ايار..!

ومع انطلاق التحيات الايارية، ولانه كان قد قام من نومه على طقطقة طناجر خالته الحجة نجيبة النحاسية، التي كانت منهمكة في تجهيز تجبينتها العربية الطرية، لزّ فواز النشاز ونط على سنسلة الماكورة ونده بأعلى صوته:

– «نادى المنادي في الجليل/ارض العروبة للعرب/شاغورنا مالك مثيل/وترابك اغلى من الذهب/ما بنرضى بالعيش الذليل/لو صرنا لجهنم حطب».

وخوفا من جهنم وحطبها اسرع بديع عبد السميع، شقيق النشاز في الرضاعة، ليسأل عن سبب النداء! فجاء جواب النشاز:

– اول ايار..؟
فرد بديع:
– يومنا..!
وواصل النشاز:
– عيد العمال..؟
فرد بديع:
– يومنا..!

وبين ايار ويومنا طلّت، فجأة، غرّة حليفهما لوقت الحاجة الولد «ابو فجلة» ابن راعي العجال، الذي وصل مستهما، مصفقا ومنشدا:

– اول ايار.. يومنا/يوم العمال.. يومنا/يوم الفلاليح.. يومنا/يوم الرعيان.. يومنا/يوم الشاطرين.. يومنا/يوم الانسان.. يومنا.

فالتخم النشاز وعبد السميع لسماعهما مقولة «يوم الانسان.. يومنا»، التي لم يستوعبا مقصودها! وطلبا من «ابو فجلة» ان يفسر بجلاء.

فوقف «ابو فجلة» على رجل واحدة، ودار حول نفسه وسأل في سبيل التوضيح:

– مش في عند المسيحيين عيد اسمه «عيد جميع القديسين»؟
فأجاباه:
– صح..!
فواصل في سبيل الايضاح:
– ولماذا قرره رجال الاكليروس الكبار بموالفة الخوارنة الصغار؟
فأجاباه بذهول:
– لا نعرف! افدنا من معلوماتك، يا لطيف!

فحكّ «ابو فجلة» جبينه، ثم ابتسم وحكى: – مخافة ان يكونوا قد نسوا المعايدة على احد القديسين الابرار، عليهم السلام والمساواة والاستقرار، ويزعل منهما

فزعق بديع عبد السميع من مكان غضبه:

– اشطبها، من البروتوكول المكوالجي حالا وفورا، يا كرخنجي، بدك تعللنا مع الاغبياء المعزمين!!

فتنطع النشاز لامر عبد السميع وقال، حاسما:

– لا تشطبها يا «ابو فجلة»، دخّلها في باب التعددية الفكرية وحرية التعبير. ولكن! ليش حشرت يوم الانسان مع اول ايار؟

فانبسط «ابو فجلة»، الذي لم يعترف احد بذكائه سابقا، وقال موضحا:

– حتى نشمل فيه جميع الناس وما ننسى اي مسكين من الكادحين، وهيك ما بيزعل علينا حدا.

وبما ان تفسير «ابو فجلة» جاء مقنعا وقفوا لتوزيع العمل وتجنيد المناضلين المترددين للمشاركة في مظاهرة اول ايار الكفاحية المطلبية.

واتفقوا على ان يقوم بديع عبد السميع بتأمين مشاركة البنات: امتباز اخت النشاز وجميلة الحلوجي ورموز ام منخار قد الكوز.

اما «ابو فجلة» فتعهد بتوزيع المناشير في الزواريب والحارات على العمال والفلاحين والموظفين، الذين يتهربون من المشاركة في المظاهرات خوفا على لقمة الخبز او بسبب قلة المروة، لاعلامهم بأن اليوم عيدهم.

واخذ النشاز على عاتقه حث والديه، فايز الجليل وفوزية الجميل، ووالدي بديع، لطيف وبديعة عبد السميع، وخالته الحجة نجيبة على السفر مع الربع الى المدينة، للتظاهر واكل الكنافة مع قطر!

ولان القوم ساروا نحو محطة الباصات مستعجلين تخلفت خلفهم الحجة نجيبة، بسبب ثقل سطل الجبنة العربية الطرية الذي دندلته على كوعها، لتذريق الناس ببلاش، اعتمادا على الايمان بأن من تطعمه اليوم بالمجان يشتري منك في الغد مع دفع الثمن!

ولان الحجة تأخرت في المؤخرة وطرطشت مياه الجبنة من سطلها خافت على حالها وغنت:

–« سيري يا المدللة.. سيري »!

ومع طرطشة ماء الجبنة العربية على درب الشعارات الاشتراكية ركض الولد بديع عبد السميع، الذي كان قد تخلف عن المسيرة الايارية، لانشغاله في سد باب السيرة على عنزة اهله الكحلا، حتى لا تهرب الى الحواكير ويحلبها السرسري «دبوس التيس»، ووشوش فواز النشاز، الذي كان يسير في طليعة المسيرة النضالية:

– اركض والحق خالتك، قبل ما تفضحنا وتفضح الامة العربية والجماهير العمالية!

فشد فواز النشاز ربطة عنقه الزرقاء ورفع، عاليا، رايته الحمراء، وصاح:

– بدنا ناكل.. بدنا نعيش.. والمعاش بيكفيش!

وزعقت البطون السائرة خلفه:

– بدنا عدس وبدنا فول/وبدنا حطب للدخون/وبدنا برغل للكبة/وبدنا حمص للمفتول!

ولان العرب العاربة والمستعربة تؤكد ان « عاقل القوم رشيدهم » تصدى مدرب الشبيبة الشيوعية فخري القران «ابو عدنان» للهاشلين على الكفاح، بجانب الباص المزين بالشعارات والاعلام، وطلب منهم الكف عن اطلاق النداءات المأكولاتية، وشجعهم على رفع الشعارات الثورية – الاممية.

فتحمس الولد «ابو فجلة» وسأل:

– بيتلع نغني: «على موسكو احنا رايحين/بلد العمال والفلاحين»؟

فصرخ فواز النشاز من موقف غضبه:

– ظبّق نيعك! بدك تسنّه ذكرى طيب الذكر الاتحاد السوفييتي؟!

فرد «ابو فجلة»، مرتجفا:

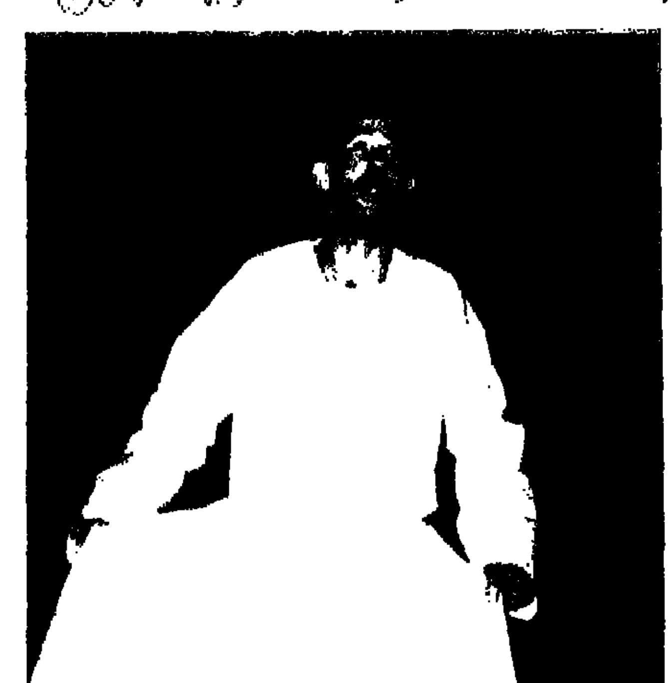
– وحياة الاتحاد السوفييتي وكل المعسكر الاشتراكي ما قصدت الا الاستفهام.

ولان فواز النشاز فقراوي وطيب القلب قال:

– ردد معي: «بالطول.. بالعرض/العمال يهزوا الارض»!



المسرح الوطني الفلسطيني يشارك في مهرجان الناصرة ١٩٩٥ بمسرحية «فلنمثل ستريندبرغ»


* اكرم تلاوي *

* الناصرة – رشح المسرح الوطني الفلسطيني في القدس المحتلة مسرحية «فلنمثل ستريندبرغ» للكاتب المسرحي السويسري فريدريك دورنيمات للمشاركة في مهرجان الناصرة للثقافة والفنون ١٩٩٥ عبر عرض ينتجه المسرح خصيصا للمهرجان، الذي سينعقد في الفترة بين (٢٣) و(٢٧) آب القادم.

وقررت اللجنة الفنية للمهرجان، في اجتماعها الأخير، قبول الترشيح وتقديم الدعم المخصص لانتاج هذه المسرحية الى المسرح الوطني الفلسطيني الشقيق.

وسيتولى الفنان اكرم تلاوي اخراج هذه المسرحية. وسيشارك في تمثيلها فنانون من المناطق الفلسطينية المحتلة.

ويذكر ان مسرحية «فلنمثل ستريندبرغ» مأخوذة عن النص المسرحي «رقصة الموت» للكاتب السويدي اوغوست ستريندبرغ (١٨٤٩ – ١٩١٢)، الذي كتبها في سنة ١٩٠١ مجسدا روح العصر الفنية آنذاك. وكتب دورنيمات هذه المسرحية بعد ان رأت النور للمرة الأولى بسبعين سنة. وقد تسنى للناس، خلال هذه الفترة، ان يصبحوا شهودا على عدة «رقصات موت» لا تقاس بما كتبه ستريندبرغ من حيث الفظاعة والرعب.

وأبطال المسرحية اناس يدورون حول ذواتهم في حلقات مفرغة، يعيشون في عالم صغير فقط يمثل بالنسبة لهم، وبالنسبة لجمهور المشاهدين، العالم الكبير الشاسع. وتكمن مأساتهم لا في الاغتراب وانما في الوضوح التام.

مسرحية «فلنمثل ستريندبرغ» هي «قصة حتى النهاية»، كما يعبر دورنيمات عادة عن طريقته في الكتابة المسرحية، وهي تشكل فضحا لمجتمع بأكمله تحتاج فيه أهم تطلعات الانسان الاخيرة الى ما يبررها في هذا الوجود.

وفود فنية اسرائيلية وفلسطينية الى مهرجان «فنون السلام» في بلجيكا


* امل مرقص *

* بلجيكا – لمراسل خاص – تجري الاستعدادات على قدم وساق في بلجيكا لعقد مهرجان «فنون السلام» وبدعم تام من وزارة التربية والتعليم ووزارة الثقافة ورئيس الحكومة المنطقية في بلجيكا بالاضافة الى المنظمة العلمانية اليهودية هناك.

ويعقد المهرجان في اوائل شهر ١٢/١٩٩٥ على مدى اسبوع كامل. وسيشارك في المهرجان عدة أطر فنية وثقافية وأدبية من اسرائيل ومنطقة الحكم الذاتي الفلسطيني

ويفيد مراسلنا انه حتى الآن اعلن عن بعض الاطر المشاركة في المهرجان. مثل: الفنانة أمل مرقص وفرقتها، فرقة يافة الناصرة للدبكة الشعبية. و(٤) كتاب يهود وعرب.. فرقة الرقص الشعبي – رام الله، بعض الرسامين الفلسطينيين والاسرائيليين.. معارض رسوم وازياء اسرائيلية وفلسطينية، الممثل سليم ضو وفيلمه الأخير «الجمل الطائر». ومسرحية «الدمى» من بيت الكرمة. كل ذلك بالتعاون مع بيت الكرمة في حيفا.

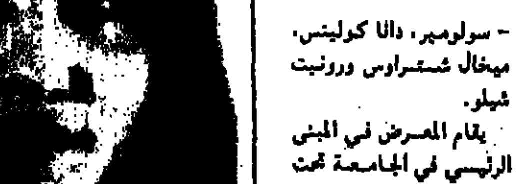
وفي حديث مع المخرج قاسم شعبان المتواجد في بلجيكا قال: «انني موجود في بلجيكا تلبية لدعوة من ادارة المهرجان ووزير التربية والتعليم د. فيليب ماو.. وذلك تحضيرا للمهرجان واختيار الأطر التي ستشارك في المهرجان.. علما ان هناك اطرا اخرى ستشارك لكننا لم نقررها بعد.. ولكن خلال زيارتي الحالية ستقرر جميع الأطر المتوقع مشاركتها من البلاد. ويأتي هذا المهرجان الاول من نوعه في اوروبا تلبية لرغبة الاصدقاء الاوروبيين في دعم عملية السلام.. لاحقاق السلام العادل والكامل في المنطقة».

وعلم مراسلنا ان المخرج قاسم شعبان التقى بالعديد من الشخصيات الثقافية والفنية وعدد من الفنانين البلجيك بالاضافة الى اجتماعه بوزيري التربية والتعليم والثقافة البلجيكية.. وبعض المسؤولين في الحزب الاشتراكي الحاكم في بلجيكا.

كما وعلم مراسلنا «ان وفدا من وزارة الثقافة البلجيكية ومن اتحاد الشبيبة الاشتراكية سيزور البلاد في الصيف القادم للاطلاع على الأوضاع الثقافية والفنية في البلاد ولبحث امكانية التعاون المستقبلي مع عدد من الأطر الفنية في البلاد.

هذا وسيترأس الأطر الفنية المشاركة كل من احمد الحاج رئيس مجلس كوكب ود. موطي بيري مدير عام «بيت الكرمة».

«في الطريق» معرض رسومات خريجي قسم الابداع الفني في جامعة حيفا


* رجاء بكرية *

* حيفا – مكتب «الاتحاد» – يفتتح يوم الاثنين القادم ٥/١ معرض رسومات خريجي قسم الابداع الفني في جامعة حيفا، وذلك برعاية كلية العلوم الانسانية في الجامعة وبنك العمال.

وقد اختير للمعرض افضل مجموعة رسومات انتجها الطلاب خلال تعليمهم، والطلاب هم: رجاء بكرية، رامي عزام، نوعا بن شالوم، طال بار – اون، طوفا هفاردي، ايهود زكهيام، سمدار فيسكي، ايران بيرتس – سولومير، دانا كوليتس، ميخال شتراوس وروتيت شيلو.

يقام المعرض في المبنى الرئيسي في الجامعة تحت عنوان «في الطريق».

هواجس مسرحية:

قناع ام شنب ـ ج

* بقلم: راضي د. شحادة *

س – ما قصة القناع يا ام شنب؟

ج – في الحقيقة لما مات ابننا شنب سنة ١٩٦٧، والعرب «انتصروا» بلا قافية، حلف ابو شنب يمين قاطع انه يحلق شنباته لأنه العرب بالعربي الفصيح تخوزقوا.

س – وهل حلق شنباته حقا؟

ج – ما فشر. انا حلفت يمين وقلت له، عليّ الطلاق منّك انك اذا حلقتهن لأطلقك. قلت له: حبيبي حرام. انت عيوق وشنباتك حلوات.

س – والقنع؟

ج – هو على خاطره؟ ان كان زوجتك القاضي لين تشكي همك.

س – وخلأهن؟

ج – معلوم خلأهن. قلت له هيك أحسن. عالقليلة اذا انهزمنا وأكلناها من جوة، يظل منظرنا من برة يستر على خفايانا من جوة، يعني بلا قافية، بالعربي الفصيح، من برة طقشة طقشة ومن جوا خر.. و.. ف محشي.

س – وانت ليش لابسة قناع؟

ج – جايبتك في الحكي.. قلت له شو رأيك يا حبيبي يا ابو شنب، الناس مغمومة ومهزومة وعابفين التنك وبيظحكوش للرغيف السخن. شو رأيك نفتح قهوة نسميها قهوة ابو شنب. ونسلي الناس وننسيهن همومهن، ونجيب احسن جرسونية واشطر فنانين، ونعمل هيصة وزنبليطة. حرام الناس يظلوا مبوزين. بنبسطهن، وبنطلع لنا قرشين نعيش منهن احنا والاولاد من الأرجيلة والقهوة والشاي والسحلب والطلبات، وبنكسب حسنة عند ربنا على اسعاد البلد.

س – والقناع.. والقناع؟!

ج – جايبتك في الحكي.. انا حلفت يمين البس قناع على وجهي وما ازيحه الا ما اعرف شو سرّ نفاخ بطني.

س – شو خصّ القناع في النفاخ وهزيمة العرب؟

ج – حطيت قناع علشان بشنبات ابو شنب وبقناعي بنصير مثل الممثلين. صار لي ١٢ سنة بطني بنتفخ. وولا حدا عارف ليش.

س – ممكن تكون لاحقتك بردية؟

ج – ما نفعنيش لا بابونج ولا ميرمية ولا رزّ وملوخية.

س – بس انت اليوم مليحة، وفش عندك نفاخ؟

ج – (تضحك).. جايبتك في الحكي.. ليش ما عرفتش بعدك؟ آخر يوم حفلة في قهوتنا خلّفت ابني روحي. الناس بتخلف جلابيط كيلو كيلو ونص.. ثلاثة كيلو. اما هذا روحي خلق وهو قد الجحش.. ١٣ كيلو، وظل في بطني ١٢ سنة. نفاسي قعد سنة. راح ما يقتلني المنحوس وهو بخابط ويلابط في بطني، ولا بيشبع وولا بيقنع. شفط كل الحليب اللي في صدري، هذا غير حليب تنوفا (דל שומן) اللي عم بتشلفطه.. يومها خلفته في المستشفى الفرنساوي، ومن فرحتي فيه، حملته ورأسا نزلت على قهوتنا، وكانت عامرة، وفتت في نص الحفلة زغردت وهاهيت وغنيت ورقصت تاشبعت، وفرقت حلو تاشبعوا، وكشفت عن وجهي وورجيتهن شنباتي، لانه سرّ النفاخ، كاين ابو شنب نافخني في المنفاخ.

س – وانبسطوا الناس؟

ج – من كثر الضحك قليوا على ظهورهن وصاروا يطرطو.. ماتوا من الضحك.. بسّ انا وابو شنب وروحي ظلينا عايشين. كل اللي كانوا في الحفلة هذيك الليلة ماتوا.. من الضحك.

س – وليش سكّروا القهوة؟ الناس رايحة تعمل مظاهرات واحتجاجات ويفلسوا بدون قهوتكو.

ج – لرمضان الجاي الله بيفرجها والخير لقدام.

وكل رمضان وانتو بخير

(انتهت)

في كتابه الجديد «بالعربي الفصيح»

محمد علي طه يؤسس النثر الساخر في ادبنا المحلي

● بقلم: نبيه القاسم ●

حادثتان ألحتا علي عندما جلست لاكتب عن كتاب الكاتب محمد علي طه الجديد (بالعربي الفصيح)، ورغم محاولاتي المتكررة الا انني اجد نفسي مضطرا لذكرهما لتكونا مدخلا لكتابتي لما فيهما من عبرة وذكرى جميلة.

الاولى: تعود لاواخر عام ١٩٨١ عندما كتبت مقالة نشرتها في عدد كانون اول ١٩٨١ من مجلة «الجديد»، تناولت فيها بعض جوانب ازمة حركتنا الثقافية المحلية، وانتقدت انشغال معظم مبدعينا بهموم بعيدة عن الابداع واشغالهم لاكثر من مهمة حزبية وتنظيمية ورسمية. ومن الذين انتقدتهم كان الصديق محمد علي طه على كتاباته الانتقادية التي كان ينشرها في جريدة «الاتحاد». ومما قلته: «والسؤال: لماذا حدث ذلك؟ ومَن المسؤول عنه؟ لم اكن ابغي طرح هذا السؤال بهذه الحدة، او الغوص في اعماق ازمتنا الثقافية بما قد يثير من اعز، وقد لا يقنع الكثير، ولكن المقالات المتباعدة التي قرأتها للصديق محمد علي طه في «الاتحاد» في الصفحة الثالثة اضاءت اشارة حمراء جديدة في طريق حركتنا الثقافية».

ولقد كان رد الصديق محمد سريعا حيث وصلتني منه رسالة طويلة غاضبة عاتبة يقول فيها: «الا انني يا عزيزي اود ان اتساءل عن هذه الاشارة الحمراء التي تضعها منذ سنوات امامي.. فعندما كتبتَ عن مجموعتي (عائد الميعاري يبيع المناقيش في تل الزعتر) ذكرتَ ذلك. وها انت تعود وتذكره مرة اخرى. هل تحولتَ الى شرطي مرور وتحولتُ الى سائق؟ ام..».

وكتبت لمحمد رسالة طويلة اناقشه الاراء التي طرحها واتبادل واياه في مواضيع ثقافية مختلفة.. وقد يأتي يوم انشر فيه الرسالتين.

اما الحادثة الثانية: تعود الى العاشر من شباط ١٩٩٠ فقد كنت والصديق محمد علي طه في طريقنا الى جامعة تل ابيب للمشاركة في امسية ادبية. وفي الطريق قرأ لي محمد علي طه رسالة كتبها الى ميخائيل غورباتشوف يشرح له سبب تذمر الفلسطينيين ولزعهم من تدفق الالاف القادمين اليهود السوفييت الى اسرائيل ويؤكد له «وان هذه الالاف المؤلفة من القادمين ضربة شديدة على العمود الفقري الفلسطيني وضربة شديدة على رأس الشيوعيين العرب من المحيط الى الخليج». وينهي رسالته باستصراخ ضمير غورباتشوف: «ولقد بقي للشعب الفلسطيني ١٦٪ من مساحة فلسطين فقط لا غير فهل ستطيّر الهجرة هذه البقية الصغيرة؟ واشعباها ماذا يخططون لنا؟ ماذا يخططون لنا؟ بحق الحياة يا رفيق غوربي لا تدوسوا شعبنا بأقدامكم في اثناء هذا العناق التاريخي فأنت لست الخواجة بوش ولا الست تاتشر!».

وقد كان محمد متأثرا وهو يقرأ الرسالة التي سيرسلها لتُنشر في «الاتحاد» فقلت له مهدئا: اتعرف بماذا افكر، افكر بكتابة رسالة الى الرئيس ياسر عرفات. وانا متأكد بأن رسالتي الى عرفات ستصل قبل رسالتك الى غوربي المشغول بارضاء الولايات المتحدة واسرائيل، ولن يجد الوقت ليقرأ رسالتك اليه التي من الممكن ان لا تصله ابدا. وفي رسالتي الى ابي عمار سأضع الحل للقضية الفلسطينية اليهودية نهائيا.. سوف اقترح على ابي عمار ان يصدر بيانا ممهورا بفتاوى علماء الشعب الفلسطيني على مختلف طوائفه ونزعاته باعتناق كل فلسطيني المهجر لليهودية. وعندها ستُفتح كل بوابات مطارات العالم امامهم، فيعودون الى الجليل والكرمل والمثلث والنقب بعد سنوات الضياع والتشرّد والمهانة في ضيافة الاشقاء العرب. ويُفرحون بذلك زعماء العالم العربي المنشغلين طوال ساعات عمرهم بحل القضية الفلسطينية. وايضا يُفرحون شمير وشارون وايتان وغئولا كوهين بجمع شتات اليهود من كل العالم واقامة واسرائيل الكبرى».

وضحك محمد وقال: فكرة معقولة، ولكن يا عزيزي ماذا لو قرأ رسالتك الى عرفات قارئ جاهل يأخذ الكلمات على معناها الحرفي ولا يفهم ما وراء الحروف؟! الن يتهموك بالعمالة والخيانة ويهدروا دمك في كل حارات وزناقات وبيوت العالم العربي..!!

وتساءلت اكثر من مرة: ايمكن ان يحدث ذلك.. ايمكن؟! وعدلت عن الفكرة ولم انشر الرسالة الى الرئيس عرفات.. ورويت قصتها فقط للبعض من الاصدقاء، عندما كنت والصديق محمد في زيارة لتونس في اواخر شهر آذار ١٩٩٤، بناء على دعوة من الدائرة الثقافية لمنظمة التحرير الفلسطينية وضحكوا.

ولهاتين الحادثتين علاقة مباشرة بما يحويه كتاب محمد علي طه الجديد من مقالات. فالاولى تؤرخ للفترة التي بدأ فيها محمد يكتب مثل هذه المقالات التي اعتقدت يومها انها خروج عن الابداع الحقيقي ولا تفيد وتخلق الخصومات وتبعد بصاحبها عن مراكز التأثير في الحركة الادبية والثقافية.. والثانية تؤرخ للتحول الكبير الذي طرأ على اسلوب محمد علي طه حيث استطاع بمثابرته ان يضيف في حركتنا الادبية المحلية نوعا ادبيا جديدا في النثر المحلي الساخر الهادف رغم ان هناك محاولات اخرى كانت، ولكنها سرعان ما اختفت.

ما يميّز مقالات هذا الكتاب (بالعربي الفصيح) عن الكتاب النثري



● نبيه القاسم ●

● محمد علي طه ●

السابق (مناقيش) هو الرقيّ بالاسلوب الساخر مرتبة اعلى، وجعل المفردة تخرج عن اطارها المتعارف عليه وتعمل على شحن القارئ بمختلف المشاعر المثيرة ونقله من حالة الى اخرى، قد نراه يبتسم ويعبس ويضحك ويبكي ويغضب ويهدأ ويشعر بالمهانة فيستكين او يحس بالخيلاء فيمسّد شاربه.

والكاتب لم يكتف بقدرته على التمكن من المفردة وبناء الجملة والعبارة وتقديم الصورة الكاملة وانما اهتم بالتنويع في طريقة العرض ليبعد الملل عن القارئ وليجعله شريكا له في الفكرة والموقف.. وهذا هو الهدف الاول من وراء الكتابة لهذه المقالات، ان ينجح الكاتب - بعد تعرية الواقع وفضحه - بتجنيد القراء لرفض هذا الواقع والعمل على تغييره وتبني افكار الكاتب ومواقفه. وقد اختار طريقة القص واتخذ دور الراوي وراح يتفنن في تقديم افكاره بصور مختلفة، احيانا يحكي لهم ما جرى له من احداث مختلفة في اماكن وازمنة متباعدة، مرة يكتفي بالحكاية الواحدة ومرات يروي عدة حكايات الواحدة تلو الاخرى وتكون الواحدة، رغم استقلاليتها، متممة للتي قبلها وممهدة للتي بعدها. وتراه يدخل القارئ في حلقات متتالية لا يتركه يرتاح الا بعد ان يخبره بكل ما عنده من كلام، فيلقيه منهوكا مهموما، يضحك وجهه، ولكن الدموع تنساب على وجنتيه.

وفي روايته للحكايات يتحدث احيانا بصورة عفوية لا يتفنن باختيار الكلمات والعبارات وانما يترك الكلام ينساب على طبيعته «نحن - والحمد لله - مجتمع حضاري وديمقراطي، سليم ومعافى نحب بعضنا البعض. نفرح لنجاح جيراننا ومعارفنا واصدقائنا ونحزن لفشلهم» و «كنت اجلس مع مجموعة من الكتاب والشعراء بعد ندوة هامة وناجحة. وبعد ان قال لنا احد الحاضرين بأننا نبراس الامة وضميرها (ولا ادري إن قال ذلك عن صدق ام عن مجاملة) وتحدثنا عن الحداثة والمضمون وعن الواقعية والبنيوية..» ثم نراه يطرح سؤالا او اسئلة ويجيب عليها او يترك غيره من المتحاورين يجيب او يترك للقارئ فرصة الاجابة «ولماذا الغضب؟ ولماذا الزعل؟ السنا كلنا في الهوا سوا؟» ويلقي بكلمات عامية، وقد تكون شتيمة او تعليقا ظريفا «حتى صار كلبا وابن ستين كلبا» و «انني ما زلت شابا وقدّها وقدود» او يشير الى طرفة ادبية يترك القارئ ليبحث عنها في المصادر الادبية «وخفت ان احب بنت الحلال التي لا اعرفها ويصيبني ما اصاب المعلم الذي تحدث عنه الجاحظ رحمه الله» وقد يعلق تعليقا ساخرا هادئا «ترى لماذا لا يُدخلونها (الغيبة) الى الالعاب الاولمبية حتى يفوز العرب بالميدالية الذهبية في فن ما؟» او يسخر من الالقاب التي يسبغها البعض على انفسهم بهدف التعظيم والتهويل «وصارت كنيتي ابا الدمقراطية تماما كما ينادونكم ابو محمد وابو طارق وابو علي وابو الفهد وابو تيمور وابو الجرمق وابو الاغوار» واحيانا يدبّج الكلمات الشعرية الساخرة «ترقّينا يا بو سمرا وصرنا نقضيها برا. الحاضر اخرا من الماضي والقادم اخرا واخرا» او تضمين كلامه ببيت شعر «هذه المعركة الانتخابية التي (شمّرت عن ساقها فشدوا، والقوس فيها وتر عردٌ: مثل ذراع البكر او اشدّ ولا بد ممن ليس منه بدّ)» او اغنية معروفة «يا بو اللوزا امتط بساط الريح! جميل ومليح. بساط الريح يا بو الجناحين. مراكش فين! وتونس فين؟ والله. والله فين؟» او المثل الشعبي «يتعلمون البيطرة في حمير النور واذا ضاع الجمل لا اسف على الرسن» او تضمين الكلام بآية قرآنية «قل اعوذ برب الناس، من شر الوسواس الخناس، الذي يوسوس في صدور الناس» او ببعض من التوراة، الخ.

ويتحدث احيانا بأسلوب قصص «الف ليلة وليلة» وذلك عندما يريد ان يُدخل القارئ في جو من الخيال الممزوج بالواقع المرّ المهين، ويؤكد له ان ما يرويه - رغم واقعيته - الا انه يشبه الخيال لان حدوثه كان من ضرب الخيال غير المقبول، مثل حديثه عن الكاتب اميل حبيبي على اثر تسلمه جائزة اسرائيل من يد رئيس حكومة اسرائيل (السابق) اسحق شمير «وقالت شهرزاد: بلغني ايها الملك السعيد، ذو العقل الرشيد، والرأي السديد، ان ذلك الشاب الاسمر، كان يسير في الشوارع ويتمخطر، كأنه ابو فراس او عنتر، خاصة بعد ان اتقن الانشاء والكتابة، واعتلى المنابر واجاد الخطابة» وينساب في حديثه المقلّد لاساليب قصص الف ليلة بتقطيع العبارات واعتماد السجع «وهو الخطيب المصقع، والكاتب المبدع، الذي اذا اعتلى المنبر - وارغى وزمجر، هز العروش، ونفس الكروش وسخر من الحكومات، ولعن الزعامات، وبعث في نفوس الجماهير الامل ووضع حظوظها في زحل» واحيانا اسلوب (اخوان الصفا) في رسائلهم او اسلوب الجاحظ او يخلط بينهما «وحدثني رياح بن العربي قال: واعلم يا محترم ان الدنيا قد تغيرت، وان الامور قد اختلطت».

والحوار عنصر اساسي في هذه المقطوعات النثرية، يضفي عليها حيوية وحركة ويساعد على التلاعب باللغة ما بين العادية والفصحى والعامية وتضمين العبرية وإن كانت اللغة السائدة هي المتعارف عليها بلغة المثقفين القريبة من الجميع.

فاللغة عند محمد علي طه في مادة كتابه هذا، كما في قصصه، هي مركز اهتمامه وشاغلته الابدية، لانه يؤمن بما قاله يوسف ادريس (استاذه المفضل في كتابة القصة القصيرة): «ان اللغة ليست وسيلة. اللغة في العمل الفني مثل اللون في الرسم، او النغمة في الموسيقى، جزء من صميم العمل الفني». وهو في تعامله مع اللغة يكون في منتهى الحساسية ويترك اللفظة تأتيه مطواعة، ويتعامل مع مختلف المستويات اللغوية لانه يؤمن بأن الفنان الحق هو الذي يجب عليه استخدام الاسلوب الذي يلائم فنه. ومحمد لا يترفّع عن لغة الحياة وانما يرى ان الاصالة الحقيقية في التعامل مع مختلف المستويات اللغوية المعاصرة، وهنا تكون البلاغة الحقيقية وليس في التقوقع في التراث القديم واستحضار المفردات والاستعارات القديمة. فاللغة الحية هي التي تغتني وتستزيد من لغة الحياة ولغة الناس المتطورة المتفاعلة مع الحياة تماما كما مع اللغة التي تحتفظ بها كتب التراث الادبي.

ومحمد لا يتحدث بضمير الغائب، فضميره المفضل هو الضمير المتكلم، ويأتي بعده المخاطب.. اما اذا لجأ الى استعمال الضمير الغائب فيكون لضرورة ملحّة. وضمير المتكلم المفضل عنده هو الدال على الجمع، ولهذا فالعديد من المقطوعات النثرية يبدأها بالضمير (نحن) ويركّز على تعميقه لمفهوم (النحن) ليُحسس القارئ ان ما يتحدث عنه يمسه ايضا وهو شريك به، حتى اذا ما انتقل ليتحدث بضمير المتكلم المفرد ظل صدى الجمع هو المسيطر والاخّاذ. وقد يكون محمد يبغي من وراء ذلك ان يؤكد انه في ما يطرح من قضايا لا يعبّر عما يشعره هو وما يضايقه ويثيره ويغضبه، وانما يتحدث نيابة عن الجميع، وبهذه البداية ينجح في شد القارئ اليه لانه يجعله شريكا له في الذي سيقوله. وهو يختار الكلمات الجميلة والافكار المشجعة والصور الاخّاذة ويخلق الاجواء الساحرة الموهمة والمبعدة بالواحد عن واقعه التعس، وهكذا ينساق الواحد معه مسرورا موافقا معجبا، وينتقل به من وضع الى اخر حتى يجد الواحد نفسه عند اخر كلمة وقد وعى واقعه الرديء جدا الذي لم يعد بامكانه القبول به، وليس امامه الا التحرك للعمل لتغييره.

هذا التدرّج من قمة الشعور بالتفوق والكمال والسعادة الى الانحدار التدريجي نحو الواقع الذي لا يُطاق، هو الخط العام الذي اتبعه الكاتب في مقطوعاته التي قدمها في كتابه الاخير.

وهو بهذه المقطوعات تناول مختلف القضايا والهموم والمواضيع التي شغلت الرأي العام العربي خلال الثلاث سنوات الاخيرة. مثل قضية الدمقراطية ومدى امكانية تطبيقها في الدولة الفلسطينية العتيدة. وقضية الموقف العربي المنتقد للرئيس عرفات وتوقيعه اتفاقيتي اوسلو والقاهرة مع حكومة اسرائيل. وقضية العلاقات اليهودية العربية داخل اسرائيل. وقضية تكالب الزعامات العربية المحلية وقطاعات واسعة من الجماهير على الاحزاب الصهيونية باسم الدمقراطية وحرية الرأي وخدمة القضية الفلسطينية. وبعض المظاهر السلبية في سلوكيات الانسان العربي وعلاقة الواحد مع الثاني مثل الطوشات التي تتفشى في كل قرانا العربية وعادة الاغتياب وما يحدث في مواسم الانتخابات وغيرها.

اخيرا:

اعترف انني تسرعت في الحكم على كتابات محمد علي طه يوم بدأها في الثمانينات الاولى، وفي تقدير مدى استيعاب وتقبّل القارئ لمثل هذا النوع الساخر من الكتابة، وإن كنت اجزم انني ساهمت في دفعه للتحدي واثبات جدارته وتمكنه بكتابة المقالة كما في كتابة القصة، وفي تنبيهه الى مخاطر الانزلاق في الامور الشخصية والمواقف الذاتية ودفعه لتناول القضايا العامة والهموم الكبيرة.

فمحمد علي طه الذي قدم لنا القصة القصيرة الراقية التي تُطاول قصص كبار كتّاب القصة في العالم العربي والعالم عامة، هو نفسه محمد علي طه الذي نجح في تقديم المقالة النثرية الساخرة ليضيف بذلك الى ادبنا العربي المحلي نوعا جديدا راقيا يزيد من مكانة حركتنا الادبية ويرسخها في الحركة الثقافية العربية العامة.

● ايمن كامل اغبارية ●

مديح الليل الناعم



ربّ
ليل اصابني تلك الليلة
بيننا
امتلأ طعنات ناعمة
وفضاءُ النرجس
فاضَ اسئلةً ساخنة
إنسرّبت تحت جلدِ الكلام
ريحاً راعفة
طعناً في جثتي وشوشات حامضة
هيأتُ لها حديثاً وثيراً
عن الجنس المالحِ وروحٍ خائفة
من البرد
من نفسها
ومن عزلة اذ حدقتْ صامتة
تلك الليلةُ
ثرثرتُ أضحكُك
وكنت كلاماً أحميك
من خلسة نهمٍ شاردةً
مني
من دمي ان يقضمَ دمَك
وكاحلاً نائمة
بعيداً
عن ليل تلك الليلة
بعيدا عن لساني
وماء احزاني
جلسنا حوله ضفتين
تُذوبُ العناقَ المحتمَلَ
حراماً يُزنرُني
برفيف اللوعة
تحت الشفة الناشفة يُبللني
بُموائك البيتي قسراً
يتهجدُ لانحباسك فيغمسُني
بك
بك نهراً سافلَ الاوجاع
بذي، المصَب، يأخذني
لك

اليك وعليك هذياناً يُغرقُني
في تلك الليلة
في تلك الليلة
ربما
سترقصين للنهر يَدخُلُكِ
ربيعاً يفورُ
ليستحمَ الوخزُ البهيجُ
فيّ
يفيضُك
عليّ
على تلك الليلة
تلك الليلة
ينفلتُ عُريك المكمَم
يتوضأ من الصُراخ
ويتعلُ فمي
الهمسَ الحافي حول نهديكِ
يتدلى الشهيقُ
الى رئة الفرح
من سقف القمرِ وضجيج يديكِ
في ظهري
وقُدس قلبي
زقزقت أظافرُها
صلوات لشهواتي
تعتمدُ الألمَ
نداءٌ للشمال العذب
وملكوتاً لرغباتي
تستدرجُ جنةَ السكر شوطاً شوطاً
بعصافير تجوعُ فتركعُ وَجداً وَجداً
للبدايات البيض

تتفتحُ عُمرا عُمرا
وكُعبات شقرا،
كتلك اللّيلة شقراء
تلك الليلة ... تلك الليلة
انتظرتُك
انتظرتُكَ تُجذفُ فيَّ الساعاتُ
والمسامات
لكلِّ حَدبٍ وحُزن
أتجرعُ جرأتي هزيمة قادمة
حد النُعاس
وحدَ الوهم
جرحني لما حلمتِ
فنمتِ... هل نمتِ؟
نمتُ على مُفترق الحزّ تصورك
وكان مُميتاً التشظي البطيء ترقبُك
حلمت، ربما
وكنت وحيدة
كنت حزينة
وكنت كالتداعيات تتهيجين
حديقة ليلُك
على الدرَج الخشبي تنسكبين
الان
فهمتُ معنى ان تغارَ امرأةٌ
من نهر
او سهل حنين
رائحة اطفالك عليك تغويني
صدأ الامومة
والشبقُ الدفين
رأيتُ.. رأيتك

ياقوتة عُريك
من بَضِ الندا آت تمتشقين
تبحثين
عن غمدٍ للضجيج اللّزج، تتسللين
للبلي
ولخرابي المعشب فرحاً مؤقتاً
فتبرعمين
لفوضى الشبق المؤجّل
ولكثرة النوافذ
على حديث الياسمين
يَرغو
يرغو لأي غواية
تشمُ لحذك الخدرة
وتلحَسُ خلاياك كسكين
تكشطُ نحاسَ الوقت
عن الجلد الميت
وصوم السنين
طويلة
كتلك الليلة
تلك الليلة
كان عطرُك مُكتنزاً كالحرمان
وكنت جميلة كالخطيئة
علقتْ فيك مُهجةٌ
للغواية تزدان
كلما عضضت كتفيك
او مشطتْ خصرَك
أصابعي بحنان
اذ نبشَ فينا عناقُ غادرُ

لغزال الوجَع
ألفتاً بستان
حتى يركض بالملل
وبالرغبات الممنوعة
لمدائح السأتان
ولقصيدة رخيصة الحُلي
أظافرُها تخدشُ روحي
إذ ما استثارَها النسيان
نسيان تلك الليلةَ
تلك الليلة
تلك الليلة
انتظرتُك انتظرتُك
انتظرتُ الندمَ الحلوَ ان يُدميني
على انهيارك اللّدن
وان يُبكيني
ليلاً حدثَ تلك الليلة
لتكتُبيني
في دفتر اشعارك الملون
او خلفَ اذنيك، لتنسيني
مع تلك الليلةَ
في ذلك الليل
تلك الليلة
انتظرتُك
تلك الليلة
كان يمكنُك ان تُنهي عشرين سنة
كلها ليال لم تكتمل
لها سماءٌ للنشوة
وصفاءٌ شرسٌ يحتمل
استسلامَ الحرير لانهيال الجهات
على ليلٍ
قسمة الحمّى نوبات نوبات
في تلك الليلة
تلك الليلة
كان يمكنك ان... تلك الليلة

(اوائل ربيع - ١٩٩٥ ام الفحم/حيفا)

● تعريف

■ يواصل الناقد والمفكر الفلسطيني ادوارد سعيد دراسته للقضية الفلسطينية. وقد انجز، مؤخرا، كتابة نصوص لمؤلف جديد يروم التوصل الى قراءة سيرة الفلسطيني من خلال الصور. اسم هذا المؤلف هو «بعد السماء الاخيرة» والصور التي يحويها هي بعدسة المصور السويسري جان موهر. وقام سعيد بتحريره بالتعاون مع كريستوفر هيتشنز.

اسم المؤلف مستوحى من قصيدة بعنوان «تضيق بنا الارض» من ديوان «ورد اقل» للشاعر الفلسطيني محمود درويش يختتمها بالابيات التالية:

«الى اين نذهب بعد الحدود الاخيرة؟ اين تطير العصافير بعد السماء الاخيرة؟ اين تنام النباتات بعد الهواء الاخير؟ سنكتب اسماءنا بالبخار الملون بالقرمزي، سنقطع كفّ النشيد ليكمله لحمنا
هنا سنموت. هنا في الممر الاخير. هنا او هنا سوف يغرس زيتونة... دمنا».

عن هذا المؤلف ننشر هنا، مقتطفات من قراءة للناقد الاردني فخري صالح ظهرت في اسبوعية «اخبار الادب» القاهرية.

(المحرر الادبي)

● قطوف ثقافية ●

في كتاب جديد بعنوان «بعد السماء الاخيرة»

ادوارد سعيد يكتب سيرة الفلسطينيين

● بقلم: فخري صالح ●

● يكتب ادوارد سعيد: «ليس هذا الكتاب كتابا «موضوعيا». لقد كان قصدنا هو ان نرى الفلسطينيين بأعين فلسطينية» (ص٦). وهو يعلن، بذلك، عن الشكل الذي سيأخذه الكتاب في رحلة بين العين الرائية (عين كاميرا المصور السويسري) وعين الاخر الرائية والنص الذي يكتبه سعيد منطلقا من ارضية الصور، بما تستثيره فيه من انفعالات واحاسيس وذكريات وتأملات. ان الصور تتضافر في تقديم خلفية للنص، اذ تصطدم بها عين القارئ وهي تتابع النص المكتوب الذي ينطلق من الصور ليعيد لهم ما تثيره الصورة فيه من احساس بنص الذكريات او التأملات السياسية والنظر في مصير الفلسطيني المقتلع خارج ارضه وداخلها. وليس ثمة افضل من هذه الوسيلة التي تستفيد من الصورة الحية لعرض اشكالية الوجود الفلسطيني امام العين والذهن الغربيين. كاميرا من الغرب وعين شارحة من فلسطين ونص يستفيد من فهم المؤلف لدور المثقف العضوي بالمفهوم الغرامشي للتعبير، الذي يعادل مفهومه لضرورة ان يكون الكاتب «دنيويا» النزعة ملتصقا بشروط عصره يتخذها منطلقا لمشاركته في ايجاد اجوبة على الاسئلة التي يطرحها عصره عليه، وان يكون بهذا المعنى جزءا من «الامكانيات الاجتماعية والفعاليات السياسية» لهذا العصر.

انطلاقا من هذا الفهم لطبيعة مشاركة المثقف السياسية والاجتماعية يأخذ كتاب سعيد «بعد السماء الاخيرة» شكلا من اشكال الدمج بين المادة الموضوعية المتوافرة بين يديه، بما في ذلك الصور التي صورها جان موهر، والذكريات الشخصية التي توفر مادة حية تتمتع بقدر كبير من الحميمية وتعطي الكتاب طابعا سرديا يكشف عن المعاناة الوجودية الكبرى للفلسطينيين الذين اصبح سعيد واحدا من اهم الناطقين باسمهم في الغرب، في امريكا اولا وفي بريطانيا ايضا، بصورة متزايدة في السنوات الاخيرة.

تبدأ حكاية الكتاب من مهمة كلف بها ادوارد سعيد عام ١٩٨٣ للتحضير لمؤتمر دولي تعقده الامم المتحدة حول القضية الفلسطينية. وقد اقترح ادوارد سعيد على المسؤولين في الامم المتحدة ضرورة ان تقوم الهيئة المنظمة للمؤتمر بتعليق صور اخذها المصور السويسري جان موهر للفلسطينيين في كل اماكن تواجدهم، داخل فلسطين وخارجها، على مدخل القاعة التي سيعقد فيها المؤتمر. ولكن مسؤولي الامم المتحدة قرروا، بعد اخذ ورد، ان تعلق الصور هكذا دون شرح او تعليق، دون اية اشارة سوى كلمة واحدة تعلن عن البلد الذي اخذت فيه الصورة. ولقد قرر ادوارد سعيد بعد هذه التجربة التي يعلق عليها في مقدمة الكتاب (ص ٣ - ٤) ان يقوم بتأليف كتاب تكون فيه هذه الصور، التي ما قيض لها ان تعرض بالطريقة التي تشرح معاناة الفلسطينيين واشواقهم الى الحرية وتقرير المصير واقامة دولتهم المستقلة، منطلقا لنصه المكتوب. لكن الصور لا تقيد حركة سعيد في الزمان او المكان. ان التعليق او السرد ينهض منها ليستكمل المشهد الصامت الذي تنقله الصورة مضفيا على الصور حيوية ومعطيا لها معنى في سياق النص نعيش بتبادل النص والصورة احيانا توضيح بعضهما بعضا وجلاء الغامض فيهما.

ان المطلع على نصوص سعيد، سواء منها التي تتناول حقولا معرفية مثل النقد الادبي او الاستشراق وتسلله من المعارف او حتى كتاباته السياسية عن فلسطين ومقالاته في التعليق على الاحداث والتطورات الدولية بشأن فلسطين والمنطقة العربية، يعثر على الدوام على فكرة المنفى مبثوثة في كتاباته، تلك الفكرة المركزية التي تصبح بؤرة اشعاع متصل في نص ادوارد سعيد الحالي ونصوصه الاخرى وعلى رأسها كتابه الاخير المميز «الثقافة والامبريالية». وهو في «بعد السماء الاخيرة» يستعيد وضعيته كمنفي بالمعنيين السياسي والثقافي، ويشرح لقارئه الاجنبي كيف اصبح هو وعائلته منفيين عن الوطن (ص ١٨ - ١٩)، ويوضح هذا الوضع بالنسبة له ولباقي الفلسطينيين.

«لقد تبخر من حياتي وحياة الفلسطينيين جميعا ثبات الجغرافيا وامتداد الارض. وحتى لو لم نكن لنستوقف على الحدود او نساق الى مخيمات جديدة او نمنع من الدخول او الاقامة او السفر من مكان الى اخر، فان اراضي اخرى لنا تحتل ويجري التدخل في حياة كل منا بصورة اعتباطية وتمنع اصواتنا من الوصول الى بعضنا بعضا. ان هويتنا تقيد وتحبس والحاصر في جزر صغيرة خائفة ضمن محيط غير مضياف تحكمه قوة عسكرية عليا تستخدم رطانة ادارة حكومية تؤمن بالطهارة والعرقية» الخالصة» (ص ١٩ - ٢٠).

من هذا الشعور بالاندراج في المشهد الذي يكتب عنه الكاتب تأتي وحدة الكتاب والناظم الداخلي الذي يجعل النص متماسكا وممتدا على مدار الصفحات المائة واربع وسبعين. ويعمل ادوارد سعيد منذ الصفحات الاولى على توضيح هذا التشابك بين المادة الموضوعية في الكتاب والمادة المتصلة بذكريات الكاتب ومشاعره الشخصية وحضوره البالغ في نصه وانطلاقه بصورة اساسية من التجربة الشخصية الخاصة به وبعائلته. ان سعيد يوضح لقارئه ان هناك صعوبة في تعيين الفلسطينيين لان جسما ضخما من المادة الاعلامية والابحاث

«... لقد اختصرت الفلسطينيين الى مجرد صور نمطية متداولة في الغرب عن الفلسطيني اللاجئ او القاتل او الارهابي او المنبوذ الذي لا هوية له (ص ٤). ومن هنا فان مهمة اساسية من مهمات «بعد السماء الاخيرة» هي العمل على تغيير هذه الصورة النمطية للفلسطيني في الغرب عبر عرض جوانب من حياة الفلسطينيين مصورة او مصحوبة بنص سردي ينتقل من حقل الكتابة التاريخية الى حقل الدراسة الاحصائية الى التعليق على الواقع الثقافي والادبي للفلسطينيين المعاصرين الى التأمل الذاتي وسرد الذكريات.

يعلق سعيد على نقطة انطلاقة نصه قائلا: «ولقد وجدت نفسي عندما بدأت في كتابة هذا الكتاب انتقل بين الضمائر، من «نحن» الى «انتم» الى «هم» لكي اكون قادرا على تعيين هوية الفلسطينيين» (ص ٦). ويبدو هذا التنقل بين الضمائر نابعا من ايمان سعيد بأن التاريخ الفلسطيني، بسبب من تجربة المنفى، قد افتقد المركز الذي يوفره ثبات الجغرافيا وامتداد الارض. لكن تجربة المنفى والشعور بالمعاناة هي في نظره الناظم المركزي وما يوحد فعلا التجربة الوطنية للشعب الفلسطيني رغم ان المنفى الفلسطيني بحسب ادوارد سعيد «خفي غير ظاهر وهو بالنسبة لكل منا شيء شديد الخصوصية» (ص ٥). لقد ادى هذا الارتباط الحميمي بفكرة فلسطين بالفلسطيني الى ان يضع معنى المكان. ان يفكر بفلسطين بوصفها قطعة من الارض مزدحمة بالبشر طرد منها. وهكذا، يقول سعيد، فان «اية محاولة لاستعادة الهوية الفلسطينية هي ايضا محاولة للعودة الى الخارطة، لمساعدة فلسطيني الداخل على الحفاظ على ثباتهم المهدد على ارض فلسطين. (ص ٦٢). ان من بين مهمات كتاب مثل «بعد السماء الاخيرة» التشديد على الوجود الفلسطيني امام اعين العالم، تقديم الفلسطينيين كما هم للقارئ الذي لا ينبغي ان يظن انه هو وحده الذي يتفحص الفلسطينيين بل ان الفلسطينيين الذين في الصور يلومون متفحصه ايضا. انهم حسب الكلمات الاخيرة لسعيد ليسوا مجرد موضوع للاخرين، بل انهم ايضا يقومون بالنظر الى القارئ وتفحصه والحكم عليه. وتلك هي واحدة من مهمات الكتاب، ان يشعر القارئ بالنظر الى الصور وقراءة النص، بأن العيون التي تطل من بين ثنايا الكتاب تراقبه وتتفحصه وتشدد على الوجود الفعلي لها وتقتحم عليه خلوته وتذكره بأن الصور النمطية التي يحملها عن الفلسطيني ليست هي الحقيقة. ان الحقيقة موجودة في مكان اخر ويشير اليها هذا الكتاب كما ان ادوارد سعيد يتابع عمله لجلاء هذه الحقيقة في كتبه الاخرى التي افردها للفلسطين او كانت فلسطين في قلب مشروعه عندما تكر بها.

● ادوارد سعيد ●

● محمود دسوقي ●

طلاق في الثلاثة
اعلان براءة

خبرت معالم الدنيا اسمعوني ... لقد بهرت غرائبها عيوني
وطفت الارض من شرق لغرب ... عرفت شعوبها هيا انهموني
كشعبي لم اجد في الكون شعباً ... وديني لم اجد شبهاً لديني

* * *

شعوب الارض يجمعها تراث ... وتاريخ على طول السنين
شعوب الارض يحكمها زعيم ... خبير بالحروب وبالفنون
شعوب الارض تتقن كل شيء ... الى درب المجرّة اوصلوني

* * *

وشعبي ليس يجمعه تراث ... وتاريخ بمختلف القرون
وشعبي ليس يتقن صنع شيء ... بهز المنصر ينعم بالمجون
زعيم بلادنا شهم ابيّ ... خبير بالنساء وبالجفون
اذا ما الحرب قد دارت رحاها ... بصيح مولياً هيا اتبعوني

* * *

عروبتنا لقد امست سرابا ... انهتف للعروبة اخبروني
و «جامعة» يسيِّرها خصيٌّ ... من الصحراء بالمال المهين
واضحى الدين ارهاباً وقتلاً ... يدمّر ما نشيد من الحصون
وباسم الدين ترتكب المعاصي ... واذبح كالحمامة فانقذوني

* * *

وشعبي خامل نذل جهول ... يصفق للجبان وللخؤون
كأهل الكهف ليس به حراك ... يقلّب للشمال ولليمين

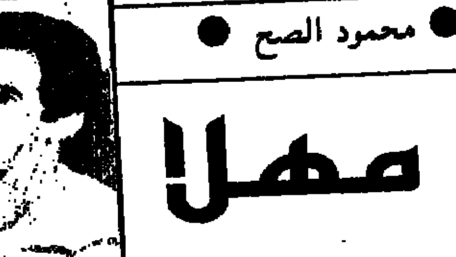
* * *

اذا للهند يحملني شراعٌ ... الى الهندوس شرعاً فانسبوني
اذا ما متُّ قهراً بعد حين ... مع الهندوس اوصي احرقوني
فمن منكم يرى فيَّ اعوجاجاً ... بحد السيف هيّا قوّموني

(الطيبة)

● محمود الصح ●

مهلا!



مَرَرتِ بفُسحة روحي فمهلا ... أما رنّ فيك هُتافي أهلا؟!
عبرتِ كما لو تسامتْ مرّت ... فما ذقت فيّ اشتياقي لا لا!!
رؤاكِ يزيد الجمالَ جمالا ... ويسقي القلوبَ فنُعماه نُبلا
تمرّ السفوحُ بعينيك نَشوى ... تحاورُ سحراً وتخلقُ خجلى
لمحتك في ارتعاشة ظبيٍ ... وايّ الظِّباء تألق شكلا
لمحتك أسكنت روحي همساً ... عساني الامسُ عمري أحلى
هي الروحُ خُلقٌ لناي الجمال ... تُغذّي مداها فتلتزّ نُبلا
تسامى الجمالُ مع الخُلقِ فيكِ ... فكنتِ العذوبةَ فينا وأغلى
أحلّق مثل طيور لحبٍّ ... بدنياكِ تعلو وتسبحُ جَذلى
شُعاعُ الحياةِ بوجهك يحلو ... وفوق رُؤانا سَناكِ تجلّى
اذا كنتُ أثقلتُ حرفيَ شوقاً ... لأني رأيتك للعمر فُلاّ!!
تساميتِ لطفاً ودفئاً بدربي ... وحسبُ الجوانحِ زَهرك مَهلا
ويا همسة الخيرِ اني واني ... رأيتُكِ فيها شعاعاً مُطلاّ
أحبّ المُضيّ بهذا الشعاع ... زهوري يَبابٌ اذا الحُسنُ ولّى!!

(عرابة البطوف)

● قـصـة قـصـيـرة ● ● بقلم: نور عامر ●

لـــولاعـــة

- ... ... !!

- مستطيلة الشكل، بيضاء اللون، ذات اطار فضي، وزنها في جوهرها، في صدرها زر صغير ان حركته انساب من فمها لهب اصفر مطعم بالاخضرار بارتفاع ما يعادل بيضة حمامة. انها ولاعة من معدن خاص، وقد تكون الفريدة من نوعها في العالم.

- كل ما افهمه من قولك انها مجرد ولاعة عادية، فما سر اهتمامك بها وشغفك لايجادها؟ هل في جوفها جوهرة ثمينة او حبة ماس نادرة؟ اتستحق منك كل هذا الجهد والعرق؟!

افصح النصف الثاني من كلامه عن نية التهكم والاستخفاف. لكن هيثم المنير لم يعبأ بما سمع، بل اجاب بثقة: هي نفسها درة لا تقدر بثمن.

احس عبد القادر بأنه يوشك ان يصطدم بلغز معقد او حالة تستدعي التفكير.. رفرفت على شفتيه ابتسامة مرطبة بالسخرية وقال بلهجة تنم عن المجاملة المغلفة بالشك في عقلية صديقه: آه، لقد فاتني ذلك.. اذن انت تبحث وتنقب منذ ثلاثة ايام لان الهدف المنشود لا يقدر بثمن!!

ولم يدع كلمة (بثمن) تخترق غلاف خزانها المستهدف حتى اعقبها بنصيحة اعتقد بأنها ستفرخ حالا وتجعل هذا الصديق يكف عن هذيانه ومحاولته الفاشلة: انك يا صديقي كمن يبحث عن شعرة بيضاء في بيدر حنطة. فهذه الغابة الشاسعة الشائكة المتشابكة تبتلع اضخم الفيلة. فما بالك بولاعة صغيرة.

- اذن ساقك القدر اليّ صدفة لتقدم لي نصيحة مجانية؟، قصدت هذا المكان لتحصل على الخروب الذي تحبه دبسا. فالتقينا وكأننا على موعد، التقينا لتبرهن لي اننا بحاجة احيانا ان نتمسك بطحلب اليأس كي نحافظ على قوانا الجسدية. كي لا نرهق «موتور» عزيمتنا بأمور تبدو صعبة المنال.

- لا، لم اقصد هذا بالضبط انما قصدت ان هنالك منطقا ولا منطق، واعتقد انه ليس من المنطق ان نتفاءل بانتشال لولب غاص في محيط.

- في حالات كثيرة نستعذب تحويل المنطق الى لا منطق، كي نتخلص من حالة ضاغطة، او فكرة جريئة، او من اجل تحقيق رغبة ملحة. لكنني مقتنع انه اذا كان هناك حصاة مميزة مغمورة في محجر فان امكانية ايجادها قائمة. كذلك الولاعة فأنا على يقين بأني سأعثر عليها.

- لكن لا تنس ان ايجادها قد يستغرق منك وقتا طويلا.

- انني ابحث عنها بحواس انسانية ورغبة مشتعلة، لذلك فان الوقت لا يشكل عندي قضية او عقبة.

وفكر عبد القادر، ما دام هذا الصديق مصرا على رأيه فلماذا لا اعزز موقفي تجاهه بجملة ليلة حتى لا يظن انني اتعمد تيئيسه في مسألة يطمح في انجازها. فقال: اتمنى ان يحالفك الحظ وتجدها بسرعة.

- لا اؤمن بالحظوظ، بل اؤمن بقدرة الانسان على انتزاع الثمرة من مخالب الحياة العسيرة.

ثم اشار بسبابته الى مسافة مرمى حجر من ساعد قوية وتابع: انظر هناك.. شيء ما يلمع، قد تكون الولاعة، وقد تكون شظية زجاج او علبة صفيح، او ربما نفلة جميز او ورقة صفصاف دغدغتها حلزونة فتركت غشاء مخاطيا لمع تحت ثقوب الشمس. لكن هذه التخمينات لن تجرني الى الاغتباط والقفز الى مصدر اللمعان لانني غير متأكد انها الولاعة، ولانني اشعر بمتعة جمالية حين استمر في مشواري بهدوء، دون ان اترك خلفي مسافات فارغة.

لم ينتظر تعليقا من صديقه، بل انبرت عيناه تحفر عروق النباتات وجذوع الاشجار وما حولها ملتهمة كل شبر وكل قدم، وانغرست اصابعه تشق طبقات الاوراق الجافة التي غطت الارض، كما تشق مناقير البط ضفة النهر بحثا عن العوالق.

بينما اقترض عبد القادر من الزمن المسافر في طوافه الابدي بضع دقائق، فكر خلالها انه من اللائق ان يعرض مساعدته على صديقه ولو من باب المجاملة والعرفان بجميل قديم كان قد طوقه به هذا الصديق الطيب رغم عناده ورغم استحالة امله المطمور في الغابة. كذلك لمع في قمة جسده سؤال احتفظ به لنفسه: لا بد ان يكون في الولاعة المفقودة سر كبير او لغز غامض قد يتكشف له فيما بعد، وقد يعود عليه بالفائدة..

انتزع قطعة من لحاء شجرة البلوط الهرمة، ثم استند بكتفه الى جذعها، ولذّ له ان يسترسل في التخيل: من يدري، من الجائز ان معدة الولاعة تختزن خارطة صغيرة، او رقعة اثرية يستدل من رموزها الى كنز عظيم مدفون في احد الاطلال القريبة، ولِمَ لا، بلادنا ملأى بالنفائس والكنوز.

احس بالاغتباط، قال في نفسه: في الاسبوع الماضي صليت وتضرعت الى الخالق ان يرزقني ثروة محترمة كي «افقش» بصلة في عيون اغنياء بلدتي الذين ينظرون اليّ بتعجرف بسبب فقري. من يدري، قد اكون تضرعت في ساعة سعيدة كان الله خلالها في حالة سرور وبهجة فأكرم وفادتي واستجاب لدعائي الحار.

تفتحت رياحين نفسيته وخيل اليه وكأنه سمع صوتا ناعما حنونا يهمس في اذنه: قم يا عبد القادر، انهض، لقد جاء سعدك ورغدك، ستدفن الفقر الى الابد. ستدوس على رقبته بحذاء من ذهب، ستشتري قطعة ارض وتقيم فيها ڤيلا جميلة فخمة، ستأكل كل يوم لحما وسمكا «وفريدس»، وستتقدم لخطبة سلوى ابنة صاحب مشغل النسيج، ستتقدم لها بلسان من فضة ويقلب مصفح بالدولارات، لا، ستؤجل خطبتها «وتشوف» الدنيا، ستركب جناح النسر الحديدي وتسافر الى دول العالم، وتنزل في افخم الفنادق وتضاجع اجمل النساء الشقراوات المغنجات والسمر الناعمات اللواتي يسيطرن على عواطفك ويلهبن احاسيسك.

لفته فرحة كبيرة عبرت عن رغبات مجمدة تيقظت وتمددت حين احست بحفيف اوراق الامل الناعمة تدغدغها. احس بأن له تريَّش وورنا، وان الحياة روضة طيبة ندية تعبق بالجنس والمال، او حديقة سندسية ترقص الروح في افنانها كما الفراشات في سعيد الورود.

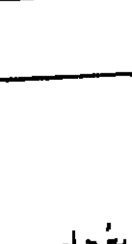
ولم يشعر الا ولسانه يقذف الكلمات بحماس وسرعة: اسمع يا صديقي العزيز، انني بدأت اقتنع بأهمية ايجاد الولاعة، انني على استعداد تام لمساعدتك في البحث، ان سمحت..

لم يجب هيثم المنير، لكنه التفت الى صديقه المتحفز وابتسم بهدوء، ثم هز رأسه علامة الموافقة.

(شفاعمرو)

● اميمة رفيق جبارين ●

بين المد والجزر





استفزتني عيناكَ
حملتني الى الكتابة
التقُ شعٌ من العينين الصغيرتين
فأدركتُ ان للزمن اضافة...!!

* * *

هجرني الربّ
فغرسوا اصابعهم في جرحي
ذهلوا ما زال نسغُ النار في دمي...!!

* * *

احبكَ بصمت
واذوب بصمت
وكلما حاولت اغتيالك بين ضلوعي
يتأبى ويستعصي الموت
عرفتُ دائما انكَ آتٍ
بشيرُ عذابٍ
وقنديلاً لا ينضب له زيت..!!

* * *

يا دنيّا المتلئ بؤساً
هل مسّك عيسى مرةً؟!
وهل مرت في نواحينا
افراح كأفراح قانا؟!

* * *

اية ريح حبلت بي الف عام؟!
ريحُ حرام...
حركتها اجنحة الغربان
فأجهضتني بين جبالك السوداء
آه... من يردم الهوّة؟!
من يرفع هذا الحزن عني؟!
من استحضرني من عالم الكهوف الملونة
ورماني في عالمكم الضيق كخرم ابرة؟!
من سلبني شعلة النار
واشجار الجنّة؟!
من أدمى كتفي ولعنني؟
يا الله ما اثقل الصخرة...

* * *

احتاجك
لأكسر حدةَ الغربة
لاحطم تعنتَ الصمتِ
احتاجك
بحراً كبيراً لنهري
مصبا لمتاهات روحي
احتاجك
لأرى معالمَ الطريق
لئلا اتيه
لئلا اموت..!!

من شرفة الروح:

■ فيصل قرقطي ■

صلوات [illegible] الاطفال المهزومين

● كان صبحا نديا، بللت قطراته غشاء عيني، ورسمت خطوط وتفاصيل غربتي فيك.

ها احدى القطرات تنزُ من دم يعني، وها اخرى تتمايل، تمرح، تصفق، تركض فالحة في مسارب عينيَّ خطوط قصة انفجاري وانهياري فيك، ومهرجان تشكلي من جديد.

- عمَّ تتحدث يا فتى؟

- عن حيفا التي فيك؟! ام عن تلك التي في منفاك وبين هذه.. وتلك وجدتها... وجدتها فقمت صارخا باعترافك «الحلاجي» وها انت قاب قوسين او ادنى، فلا تتعجل الخطى واللهاث.

زاوية قائمة اجتزتها وثلة من الزملاء، بغمضة عين، ماشيا وبسرعة لا تهدأ ولا تلين.. ولست تدري لماذا.. هل يمكن للمرء ان يمرّ في شوارع القدس مخترقا «باب العمود» سريعا كالسهم هكذا.. وسريعا (انعقدت العزم على ان اتفاقا وشرفة روحك تتعهد فيه بتقديم صلوات هذه الروح لقدس الاقداس).

- ما هي القدس يا ترى؟!

- نور الله في ظل البنفسج، غائب في مساكب الروح، يشرق لا لوم على ماض تشرد في دمي، او في مسالك الردى المرّ، دونما اطلالة لصدى ضحكات الاطفال المهزومين في نواحيها.

- اتئد يا فتى!

- معطى انت من روح ومن تعب وموت.. لا تجيء.. ولا تغيب فكيف تفسرها؟! وهي عصية على التفسير كيف تدخل في نواحيها.. وانت لا تملك لهاثك الذي لا يطاول حاجز «ايرز».

- من هو «ايرز»؟!

اريد ان اراه لالغيه وادع خ... ي العابرة.. الراكضة تقطع اوصاله.

- من هو ذاك الحوذي الذي يسوقنا. يسوقني مليون روح تنبض في اوردتي، ولا تستطيع اللهاث اكثر من امتداد الحروف في قلمي.

- فمن هو «ايرز» هذا؟!!

- اهو مكان في جغرافيا الانفجار؟!

- ام هو رماد في تلفت الروح؟!

- واين القدس؟

- واين القدس؟!

- اراها!

- اذوب في محياها.

- اتلوى في نزيف يديها، واجأر في دروبها الواسعة.. الضيقة.

- اين القدس؟!

- تقول لي انها فيّ!! تلهث، تتنفس، تتعب، تنعس، تهوى، لتعيش وتنام... تنام فيّ.. كيف لي ان انام فيها؟!!

- القدس عذرائي بامتياز.

- عذرائي التي سأخلدها برقة "رجوان،

ونباهة المعصية.

- أأنا المعصية؟!

- ام التسآل غير المروي بدموع الله في مساكب الحكمة.

- ماذا انا؟!

- ماذا انا؟!

- انا الدهاء المرّ في انتظار القدس التي لا تجيء ولا تذهب!!

- انا القابل الغض الذي لا يريد ان يتشكل!!

- انا المستحيل الذي قد مضى في ارجوان كنعان قبل بضعة انفاس عشتها على سريري.. وثلاثة الاف من الاعوام!!

- انا الجثة الناطقة!!

- انا الصوت الذي لا ينضب، والجرح الذي لا يشفى. انا محار الارض في وداعتها.. وانتظار القدس حينما ينتهي الانتظار.

- فلا تسألوني كم عمر الارض!!

- انها لهاث الطفل، رضيع لم يفطم في القدس، وكم عمر الطفل؟!

- انه عمر القدس التي لا تكبر ابدا.

- ولا تشيخ.

- اين هي القدس؟!

- اريد ان اراها من اخمص قدميها، حتى منتهاها.

- اريد ان اكحل بالسنا مقلتيها.

- وانا الفجر الضياء في بوح عيني، لتشرئب الى حضرة لقائها.

- اين القدس؟!

- وفي دمي يلمع انفجار مليون صوت. وايرز يقف خنزيرا كهلا يأكل اعشاب الارض بنَهب شيلوخ، مرابي البندقية و «بعل» يتلوى على اعطاف «عناة» تلك التي تنهي بسبع مواسم غيث لا بمحاصيل.. ولكن بأهداب حياة.. وبعدها.. ارى جيشا من الاطفال الحفاة، الجياع، المهزومين، المتورطين في معرفة الله والحاقدين على الاثم...

- الاثم الذي لا يغتفر...

- اراهم... اكاد المسهم... احسهم في داخلي يتنفسون على ابواب القدس السبعة، فاضم اضلاعي السبعة، فيفلت واحد، احضنهم.. ولا استطيع احتضان القدس!! فهذا الواحد، باب الرحمة مقفل... مقفل حتى حدود دمي الارعن... حتى امتدادات الصيف في عينيها.

- انا الان خديعة الصمت، ونزال الروح في القها.

- اعبدها... لانني اعبدها، واكره انشغالي بتفاصيلها عابدا ندى عينيها حينما يسكت الفجر وتنهب المحبطات من دمي نبوءة الواقع.. وامتداد الجغرافيا.. وحاجز «ايرز».

- فمن هو «ايرز»؟!

- اعلن الان انني اطلب محاكمته امام كل اطفال العالم واعريه ليحتضن الارض كما ينبغي.

- فهل يحتضن الارض كما ينبغي؟!

- وهو يخاف خطوتي على الارض.

من اولها

■ احمد دحبور ■

لاول مـــرة

انه لي هذه المرة، امسك به كأنما اخاف ان يطير، اتأمله واكاد اكلمه، ولو فعلت لقلت له: هل سمعت بأحد نسي اسمه ذات يوم؟ لقد نسيت اسمي ولم يكن اسمي.. ولكن الا نفك هذه الالغاز وننهي هذه التأتأة؟

اذن ابدأ من ذلك اليوم السوري اللبناني، يوم الحر والرطوبة والذعر، كنا ثلاثة فلسطينيين ورابعنا القلق، كان علينا ان نعبر الحدود السورية الى لبنان، وقد تركنا جوازات السفر لدى موظف الامن، وكففنا تلقائيا، وكأنما بترتيب مسبق، عن الحوار، واعتصمنا بآلة الانتظار التي تطلع على الافئدة وتقبض المعدة، ولن يستطيع خبير نفسي ان يفسر هلع الفلسطيني امام نقاط الحدود الا اذا حمل جواز سفر كالذي يحمله الفلسطيني، ثم جاءت ساعة الانفراج، ونودي على الاسماء: محمد خالد الخالد.. حاضر، جورج سليم قناديلي.. حاضر، عبد الامير كاظم اسماعيل... عبد الامير، اين العراقي عبد الامير؟ وفطنت الى ان هذا هو اسمي في جواز سفري الجديد، وكان علي ان ألفق سببا لتفسير عدم استجابتي للنداء..

هي هذه الحكاية: لاجئون بلا هويات ولا جوازات سفر، اللهم الا الوثيقة التي قد تكون تهمة اكثر منها بطاقة تعريف، وبقي لنا ان نحصل جوازات السفر من البلاد العربية حسب العلاقة معها في حينها، سورية راضية عنا اليوم فلنا بعض الجوازات، وان غضبت علينا فلا جواز ولا حتى وثيقة سفر، وكذلك الامر مع العراق ايضا، لكن الاسخى دائما هم اهلنا في اليمن والجزائر، ومع ذلك فقد كانت اسماؤنا غير اسمائنا الحقيقية، ولهذا كنا معرضين لنسيانها، كما جرى معي في ذلك اليوم.. هذا ولا بد من المرور المر على «جهاز التزوير الثوري» كما كنا نصف، مازحين، «زملاءنا» البارعين في تدبير اي جواز سفر بألف اسلوب واسلوب، ودائما دائما.. عندما يكون الجواز صادرا عن جهة رسمية وعندما يكون صادرا عن «جهاز التزوير الثوري»، كانت هناك معلومات مغلوطة، إما في العمر، وإما في الاسم، او في اسم الام، ودائما وبالمطلق، في الجنسية.. ولهذا فمعنى ان تكون فلسطينيا هو ان تكون مسبوقا بسؤال ومتبوعا بسؤال، وان يكون احد اسمائك غير الحسنى هو «لماذا»؟

لماذا تأخرت الى اليوم يا جواز السفر؟ اسأله، واقلبه، اعد صفحاته، واملي صورتي فيه، ثم امعن في الكلمات حيث لا توجد غلطة واحدة، الاسم (وهو رباعي هذه المرة) صحيح تماما، واسم الام، تاريخ الميلاد، ومكان الميلاد هو حيفا، حاء ياء فاء الف، لا احد ينكر على صاحب هذا الجواز انه متحدر من هذه الاحرف الاربعة المقدسة، اما جنسية صاحب جواز السفر كما يقول جواز السفر فهي فلسطينية.. هذه المرة لن انسى اسمي، ولكن لن انسى الاسئلة ايضا.. فما زال في جواز السفر الممنوح من السلطة الفلسطينية ندوب وجروح، فالاسم الذي يعلوه هو «السلطة الفلسطينية» وليس «الجمهورية الفلسطينية» او «دولة فلسطين»، واسم هذا الدفتر الاخضر الصغير الانيق «جواز سفر» بالعربية، وكذلك بالانجليزية، انما بعد اضافة عبارة «وثيقة سفر»، اي انه جواز سفر قيد التشكل، انما لم يتشكل بصورته النهائية بعد.. اما براءته فليست صادرة عن الدولة ذات السيادة الوطنية تماما، بل ان بيانها كالآتي: «هذا الجواز صادر بناء على اتفاقية الحكومة الذاتية وفقا لاتفاقية اوسلو الموقعة في واشنطن في ١٣ ايلول ١٩٩٣»، وبهذا لا تكون «الحكومة الذاتية» منفردة باصداره، وإن كانت صاحبة القرار الاول بمنحه لمواطنيها، وهو سؤال يفتح جرحا جديدا: من هم هؤلاء المواطنون؟.. ان منطق السيادة يقول: ان المواطنين الذين من حقهم ان يحملوا هذا الجواز هم الفلسطينيون جميعا، في اي مكان من الوطن او المنافي.. انه يحق لي كما يحق لقاطن مخيم اليرموك او مخيم نهر البارد او باريس، وكما يحق ايضا وقبل اي احد للفلسطيني الصامد في حيفا والناصرة وعكا وشفاعمرو وكل فلسطين.. لهذا كان لا بد من المحاولة، مهما كانت النتيجة، واعني بالمحاولة منح الفلسطينيين الباقين في فلسطين جواز سفرهم الفلسطيني ليتمكنوا من اداء فريضة الحج، اما اذا لم تنجح المحاولة فيكفي انها لتحت ملف هذا الاستحقاق..

ان لكل شعب من الشعوب شعائره ورموزه التي تؤكد وجوده: العلم، النشيد الوطني، جواز السفر، العملة، المنهج الدراسي، العيد الوطني،... واذا كانت بعض هذه الشعائر والرموز مما يؤسس الحماية الروحية للمواطن فبعضها يؤسس ويتأسس على الجانب المعيشي في الحياة نفسها، وبقدر ما يكون هذا الرمز قويا تكون مصداقية المرموز اليه (وهو السيادة) حقيقية وقوية، ولقد جاء جواز السفر الفلسطيني موازيا للسلطة الوطنية الفلسطينية، يشكو كثيرا من نقاط الضعف، ولكنه يكفي المواطن الفلسطيني بحدود الا ينسى اسمه الحقيقي، وليس هذا قليلا، على ان يكون مجرد بداية، فمتى هذا الوعد إن كنا صادقين؟

